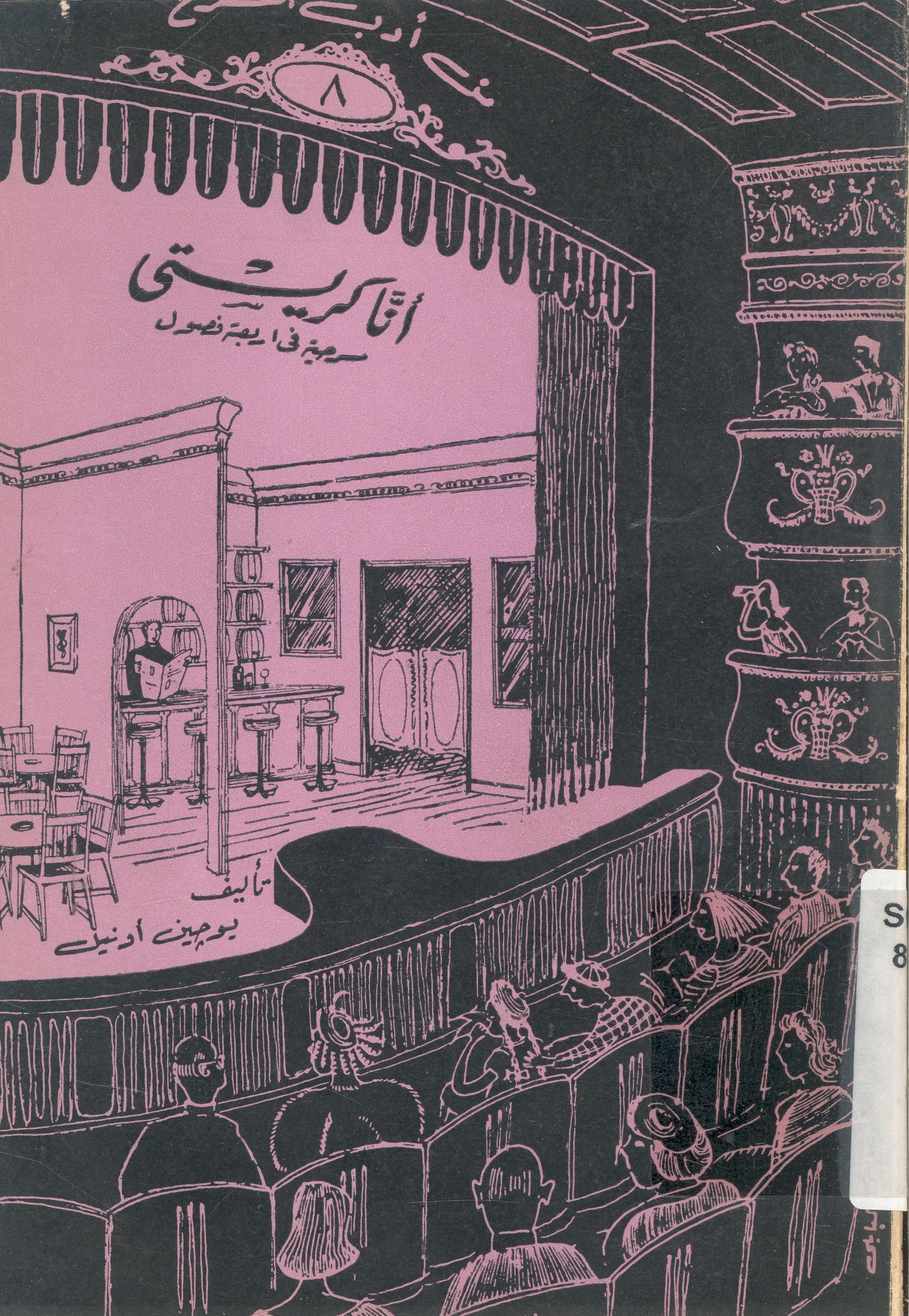

من أدب المسرح
٨
أنا كريستي
مسرحية في أربعة فصول
تأليف
يوجين أونيل
S
8

مِن أدب المَسْرح «٨»

أنَا كريستي

نشر هـــذا الكتاب بالاشـــتراك

مع

مؤســـسة فرانكلين للطباعة والنشر

القاهرة — نيويورك



أنا كريستى

مسرحية فى أربعة فصول

تأليف

يوجين أونيل

ترجمة

الدكتور جميل سعيد

تقديم

حسن جلال العروسى

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية

١٩٥٩

هذه الترجمة مرخص بها . وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق .

This is an authorized translation of ANNA CHRISTIE by Eugene O'Neill Copyright 1922, by Horace Liveright Inc. Copyright renewed 1949, by Eugene O'Neill. Published by the Modern Library, Inc. New York.

يمكن تمثيل هذه المسرحية أو إذاعتها أو قراءتها علناً بعد استئذان مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ٣٣ شارع قصر النيل بالقاهرة .

تقديم

بقلم

حسن جلال العروسى

ليست مسرحية « أنا كريستى » هى أولى المسرحيات التى نقدمها للقارىء العربى من تأليف يوجين أونيل . فقد نشرت له مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين مسرحية «وراء الأفق» فى طبعتين متتاليتين ، كما تنشر له بالاضافة الى هذه المسرحية مسرحيات « الامبراطور جونس » ترجمة الأستاذ أنيس منصور ، و « التيه » ترجمة الأستاذ كمال الملاخ . كما سبق أن نشر له فى بغداد مسرحية « الاله الكبير براون » ترجمة الدكتور جميل سعيد وهو نفسه مترجم هذه المسرحية التى نقدم لها اليوم . ولعل مسرحية « وراء الأفق » هى أكثر مسرحيات أونيل حظا من معرفة القراء وهواة المسرح فى البلاد العربية . فقد أذيعت كاملة فى البرنامج الثانى « الثقافى » للاذاعة المصرية كما مثلتها فرقة المسرح الحر بحديقة الأزبكية . فيوجين أونيل اذن ليس مجهولا للقراء حتى يحتاج الى كلمة تقديم ، ومع ذلك فاننى لا أطمع فى أن توفيه هذه الكلمة القصيرة بعض حقه من الدراسة والتحليل . ان التوسع فى ترجمة مسرحياته الى العربية لم يجىء مصادفة ولا هو وليد اعجاب خاص بهذا المؤلف أو رغبة فى تسليط الأضواء عليه ، اذ الواقع أن يوجين صرح شامخ من صروح المسرح العالمى الحديث ، كما أنه واحد من الكتاب الأمريكيين القلائل الذين دفعوا بالمسرح الأمريكى دفعا الى المكانة التى يتبوؤها

اليوم فهو اذن وبهذه المثابة علم من أعلام الأدب المسرحى له رسالة وله آثار خليقة بدراسة طلاب الأدب وطلاب المسرح على السواء .

ولد أونيل فى أكتوبر سنة ١٨٨٨ . وولد على المسرح مجازا وحقيقة ، فقد ولد فى حى « برود واى »وهو حى المسارح المعروف بنيويورك ، وعلى مقربة من المسرح الذى كان يقوم على خشبته أبوه بتمثيل دور الكونت دى مونت كريستو فى قصة ڤيكتور هيجو المعروفة . كان أبوه واحدا من فحول الممثلين فى زمنه ، وعاش يوچين خمسة وستين عاما كانت امتدادا لحياة والده فى تأصيل علاقة الأسرة بالمسرح . فلا غرو اذن أن يكون الجانب المسرحى من انتاجه الأدبى هو أبرز جوانب حياته الفكرية رغم أن انتاجه العام فى الأدب والشعر لم يكن ضحلا ولا طفيفا .

ولقد استعر الخلاف فى أدب أونيل وفى تقويم آثاره الفنية ووضعها فى مكانها الصحيح من النتاج الأدبى العالمى . فهاجمه فى مستهل حياته ناقدوه أعنف المهاجمة ، ورفعه أنصاره ـ وكانوا فى البدء قلة سرعان ما كثرت وانتشرت ـ رفعوه الى القمة فى التقدير والتمجيد ، وليس هذا الاختلاف فى الرأى والتضارب الشديد فى التقدير محل عجب ، فهذا شأن الناس دائما ازاء العباقرة والروادالمجددين ، ومن ترفق الحياة بأونيل أنه لم يمت قبل أن يذعن له العالم بالاعتراف بالتفوق والعبقرية ، وحسبه أنه نال جائزة «البولتزر» وهى قمة التقدير الأدبى فى بلاده ـ لا مرة واحدة بل ثلاث مرات ـ وجائزة نوبل سنة ١٩٣٦ كما منح الدكتوراه الفخرية فى الأدب من جامعة « ييل » لمساهمته المبدعة بالأساليب الجديدة الأخاذة فى فن التمثيل .

ان أدب أونيل من طراز فنى متفرد فليس أصعب على الناقد من أن يحاول أن يدرجه فى مدرسة من تلك المدارس المسرحية التى جرى النقاد على تقسيم الأدب المسرحى اليها ووضع معالم مميزة لكل

منها فخصائص هذه المدارس مختلطة متداخلة فى أدبه ففى كتاباته رمزية وفيها واقعيـــة ، وفيها فلسفة ، وفيهـــا رومانسية . ولكن مسرحياته مع ذلك لا تنتمى ـ بالمعايير الفنية الدقيقة ـ الى أية مدرسة بذاتها من هذه المدارس ، ذلك لأن الصحيح أن أونيل مدرسة جديدة فيها كل ما تقدم من خصائص وفيها أيضا غموض فى بعض النواحى وثورة مشبوبة على الحياة كما عرفها خلال حياته الخاصة وعلى المجتمع ممثلا فى مجتمعه الأمريكى .

كان أونيل دائم التبرم بالاغلال والقيود التى كان يجـد نفسه مكبلا بها فى المجتمع الأمريكى وكان باستمرار يريد الانطلاق والفكاك من هذه القيود ولكنه لم يكن يريد الفكاك لنفسه فقط بل يريده للفكر والفن والأدب فكان اتجاهه الأدبى صرخـة احتجاج فكرى ، احتجاج على مادية الحضارة الأمريكية ، احتجاج على التعصب والتزمت من ناحية والترخص والتبذل من ناحية أخرى فراح يدعو بقوة الى تشجيع الابتكار والتجديد وتمجيد كل ما هو حق وأصيل فى السلوك الانســانى وفى العمل الفنى على السواء ، ودعا الى محاربة الرجعية التقليدية التى سادت تفكيرعصره فكان أدبه ـ على ما ساده من بوهيمية وشذوذ ـ حافلا فى نماذجه العليا بكل مقومات القوة والكرامة التى هى طابع الثورة الحقــة حين تنضج وتكتمل فتهب مكتسحة عوامل الفساد والانحلال . وكان أدبه فى ذلك يمثل ثورة الطبقة الوسطى فى المجتمع حين تضيق بالجمود والركود والعقم فتنطلق فى طريق الاصلاح لا تلوى على شىء . لم يكن أونيل يجهل خطورة ما هو بسبيل الاقدامعليه ، ولم يكنيجهل متانة البناءالذىقام لهدمه ، ولكنه مع ذلك شعر بأنه لم يكن يسعه الا أن يثور فثار ، واسمعه يقول فى ذلك فى بعض أشعاره : «كنت فى أولعهدى بالأدب أعلمأصدق العلممدى خطورة القوات الثقافية التى كان على أن أحاربها وكنت أشعر وكأننى غواصـــة صغيرة رقدت متربصة تحت سطح المـاء تنتظر فى صبر

الفرصة المناسبة لتطلق قذائفها على الباخرة الضخمة الرابضة على ظهر الماء » . على أن المعركة الثقافية حينما أذن لها أن تبدأ جاءت بأكثر من مفاجأة لأونيل . فقد اتضح أن الكثيرين من أفراد بحارة الباخرة التى أراد نسفها ، تبينوا فى أنفسهم حقيقة لم يكن لهم بها علم وهى أنهم كانوا يحـــاربون فى المعركة الى جانب لم يتخيروه بارادتهم ، وسرعان ما بدأ الكثيرون من أعداء أونيل التقليديين يمدونه فى السر بالمعــاونة والتشجيع ، وهكذا وجد أونيل فى مطلع العقد الثالث من القرن العشرين أن له من الأنصار المستمعين أكثر بكثير مما كان يحق له أن يتوقع ، وهكذا نجحت الثورة التى تزعمها أونيل فى تغيير معالم الثقافة الأمريكية فى الربع الأول من هذا القرن .

كان الطابع الأول الذى بهر أونيل جمهوره به هو الأسلوب ، فقد ابتدع قوالب جديدة وأقنعة رمزية ـ استعارها من المسرح الاغريقى التقليدى ـ كان يضعها على وجوه أبطـال مسرحياته ، كما نحا نحوا جديدا فى توجيه ترتيب الأثاث على المسرح بحيث يعبر ذلك عن جو معين يريد أن يرمز اليه وأن يوحى به ، فهو اذن لا يحرك شخوصه وحدهم ، بل يشيع فكره فى جو المسرحية كله ، فيسخر كل ما على المسرح لتحقيق هدفه .

ولمس قراؤه ورواد مسرحياته جديدا مبتكرا فى جرس كلمات حـــواره ، وفى تحريكه لشخصـــياته ، وفى تصويره اياها بألوان جديدة تتسم بالحيوية كما تتسم بالمصارحة المكشوفة أحيانا على نحو لم يكن للمسرح الأمريكى به عهد من قبل ، فأخذ رواده والمعجبون به أول الأمر بابتكاره الفنى وبجرأته فى اختيار موضوعاته ولغته ، وخيل اليهم أن أونيل قد عرض كل بضاعته . على أن أونيل لم يلبث أن كشف عن حقيقة نفسه وأصالته الفنية وعمق اتجاهاته الفلسفية . لقد قيل ان أونيل هو محرر المسرح الأمريكى وليس من شـــك أن نصيبه فى تطوير المسرح الأمريكى من مرحلة كان لا يستهدف فيها الا اجتذاب

الجماهير واسترضاءها الى مرحلة اتجه فيها الى اخراج العمل الفنى المتكامل ، لا شك أن نصيبه فى هذا التطوير لم يكن مسبوقا ولم يكن مرجوحا .

ان فى أدب أونيل نزعة واضحة الى التأمل الفلسفى ، وهـــذا التأمل يلاحظ أكثر ما يلاحظ فى مسرحياته الأولى التى كتبها فى أوائل العقد الثالث من هذا القرن . ففى هذه المسرحيات يبدو المؤلف مشغولا مهموما بالغيبيات ومسائل ما وراء الطبيعة وعلاقات الخلق بالخالق،فهو أبدا يحاول يائسا استكناه خبايا اللغز الأكبر،الكون .ومع أنه يبدو فى بواكير انتاجه ناقدا ، ناقما على النظام الاجتماعى فان نظراته تمتد بغير شك الىآفاق أبعد منمجرد التبرم بالمجتمع الأرضى ، فهو يحاول حائرا أن يستشف ما وراء ذلك الأفق المحــدود دون أن يبحث فى مغزى الحياة نفسها وهو لذلك طموح الى افساح مجال البحث أمامه ، وهو يحرك شخصياته غير قانع بمجال المسرح المحدود ولا بمجال الحياة نفسها ، فهو أيضا محدود ولكنه يرنو بعينيه الى آفاق بعيدة لا نهاية لها : ما وراء الوجود وما وراء الطبيعة . والمسرحية التى نقدمها اليوم واحدة من ثلاث تسير كلها على نفس هذا النمط وتصور قلق المؤلف وشــكه وتســاؤله . أما المسرحيتان الأخريان فهما : « الامبراطور جونس » و « الرجل القرد » وفيها جميعا يلتزم المؤلف منهجا فلسفيا واحدا هو تصوير ضعف الانسان وقسوة الكون والحاجة الى ايجاد نمط من الحياة ومن التفكير يكفل للانسان العثور على ما لاغنى له عنـــه من الطمأنينة الروحية . وأونيل فى محاولته استكمال الصور التى يرسمها بأبطال قصصه الثلاث يحاول جاهدا أن يجيد تشخيص الداء ، كما يحاول أن يجيد وصف العلاج ، ولكنه فى ذلك كله لا يستطيع أن يتخلص من الصراع الذى يسيطر على تفكيره طول الوقت وهو الاشفاق من انعدام التناسق بين ضآلة الفرد وحقارته من ناحية وضخامة الطبيعة أو الكون وقوته الساحقة من

ناحية أخرى . فقوام مسرحياته الثلاث التى ذكرناها هو عمق شعور المؤلف بتعاسة الانسان بتغليبه الفكر على الشعور وهو يعالج الموضوع فى مسرحية « الامبراطور جونس » من ناحية تصوير الانسان فى جهالته وضآلة خبرته ومخاوفه الهستيرية مغلفة فى غطاء رقيق من الفكر يحكمه ويشقيه . أما فى « الانسان القرد » فهو يصور بطريقة مثيرة مدى كبرياء الانسان وغروره فى غير مقتض وبغير مبرر .

أما مسرحية « أنّا كريستى » ــ وهى التى تعنينا هنا ــ فأسلوبها الفنى يختلف عن زميلتيها ولكنها تشترك معهما فى رمزيتها للمصير الرهيب الذى لابد أن ينتهى اليه انسان . ولعل هذه المسرحية تبدو غامضة لمن لا يحاول أن يفهمها فى ضوء المسرحيتين اللتين سبقت الاشارة اليهما وكجزء مكمل لاتجاه فكرى فلسفى واحد فموضوعها الأساسى ليس فيه جديد وقد قتل بحثا موضوع « المومس » المستهترة بكل شىء ، والقارىء ــ أو المشاهد ــ قد يحتار فى فهم الفكرة الأساسية فى المسرحية الى أن يصل الى كلمة كريست « بطل الرواية » فسيجد عندئذ أنه ليس ازاء ميلودراما جنسية ولا شىء غير ذلك ، بل هو بصدد محاولة صادقة لفهم الحياة كلها ، وان فلسفتنا المعاصرة اليوم هى الفلسفة الوضعية وفيها يلعب الفكر دور الأداة التى تستطيع ــ وينبغى لها ــ أن تتحكم فى الغرائز العمياء ، فالفكر اذن يقاوم الغرائز بحسبانها بعض النواحى الفجة التى لم يكتمل نضجها من حياتنا وهو لذلك يحاول أن يغير هذه النواحى قهرا . وهذه الفلسفة نفسها توحى الينا بأن المشاكل التى تواجهنا هى كيفية تنظيم النواحى المادية والمعنوية من وجودنا وتحاول أن تغلق تفكيرنا دون الاتجاه الى الموت والنواحى التى تتصل به وتدور حوله ، ولكن أونيل لا يشارك أغلبية جيله فى هذه الفلسفة الوضعية فهو لم يستطع قط أن ينحى موضوع الموت من فكره بل على العكس فان التفكير فى هذا الموضوع بالذات لا يفتأ يراود فكره ويتسرب من خلاله الى

أبطال مسرحياته فتروح تتساءل عما اذا كانت الحياة ودور الانسان فيها له قيمة من أى نوع ، فأونيل يستنكر فى النـــاس كبرياءهم ويهون من شــأن ما يحسبونه لأنفسهم من قوة . وهو فى محاولته تحطيم هذه القيم الايجابية التي يؤمن بها أهل العصر يحاول فى الوقت نفسه أن يثبت أن ثمة قيما أخرى خالدة باقية ، ومستويات رفيعة للسلوك يعجز تفكيرنا الايجابى عن الالمام بها ومعانى نخطىء تفهمها لأننا نحاول أن نرد كل شىء الى العقل فالفكر كما يمجده الواقعيون شىء خطر جدا والعقل هو أساس الفرقة بين الانسان وأخيه ، بل وبين الانسان ونفسه ، فالتركيز فى الشعور الذاتي قد يحيى القوة ولكنه فى الوقت نفسه قد يميت الانبعاثات الغريزية فى الانسان وبغيرها لا يمكن أن تستقيم حياتنا هذه .

ولقد قام بترجمة هذه المسرحية أديب وأستاذ عراقى كبير هو الدكتور جميل سعيد وكيل كلية الآداب والعلوم ببغداد . وقد طرق بهذا النقل الى العربية ميدانا يعرفه أحسن المعرفة ، فهو أستاذ للنقد الأدبى من ناحية ، وهو متخصص فى الأدب الأمريكى وأدب أونيل بصفة خاصة ، درسه فى جامعة برنستون على الأستاذ ألن داونر الحجة المعروف ومؤلف الكتاب القيم الذى نشر ملخصا عن المسرح الأمريكى فى خمسين سنة ضمن الكتاب الذى نشرته هذه المؤسسة تحت عنوان « دراسات فى الأدب الأمريكى » . وقد جاءت الترجمة أمينة دقيقة وفى أسلوب واضح مشرق . ولا غرو فان خبرة المترجم فى موضوعه خليقة بأن تقرب الى الأذهان آثار كاتب كبير يشوب أسلوبه الكثير من الغموض .

اشخاص المسرحية

جونى ــ الملقب بالقسيس

حمالان من حمالى الموانىء

موزع بريد

لارى ــ ساق

كريس ــ كريستوفرسن ــ ربان سـفينة الشحن « سيمون ونثروب »

مارثى أوين

أنا كريستوفرسن ــ ابنة كريس

ثلاثة بحارة

مات بيرك ــ وقاد فى سفينة

جونسون ــ بحار عادى فى سفينة الشحن

ــ المناظر ــ

الفصل الأول : فى صالون « جونى » الملقب بالقسيس على مقربة من رصيف الميناء فى مدينة نيويورك

الفصل الثانى : بعد عشرة أيام من الفصل الأول ــ فى سفينة الشحن (سيمون ونثروب) ، الراسية فى ميناء بروفنستون فى ولاية ماساشوستس .

الفصل الثالث : فى غرفة فى باخرة الشحن فى مدينة « بوستن »

الفصل الرابع : بعد يومين من الفصل السابق ، يعاد المنظر السابق نفسه .

الفصل الأول

منظـر :

يرى « صالون » جونى الملقب بالقسيس ، الواقع قرب الشــارع الجنوبى ، فى مدينــة « نيويورك » . يقسم المسرح قسمين ، ترى فىمؤخرته غرفة صغيرة على اليمين . وعلى اليسار . فى الأمام من البار ـ شباك كبير مطل على الشــارع . ووراءه المدخل الرئيسى ، وهو باب ذو مصراعين . وفى الخلف بعيدا شباك آخر. والبار يمتد من اليسار الى اليمين ـ على طول الجدار الخلفى تقريبا وخلف البار مخزن صغير ، يرى فيه قليل من القنانى المقفلة التى يقل طلبها . والباقى من القسم الخلفى ، أمام المرايا الكبيرة ، مشغول بأنصاف براميل « الوسكى » الرخيص ، من النوع الذى تباع كأسه بقرش ، والشراب يؤخذ منها بوســاطة صنــابير « حنفيات » .

وفى اليمـين مـدخل مفتوح يؤدى الى الغـرفة الخلفية . وفى الغرفة الخلفية أربع مناضد خشبية مستديرة ، جمعت حول كل منها خمسة كراسى ، وفى الخلف مدخل عائلى ، يطل على شارع فرعى .

فى عصر يوم من أيام الخريف عند ازاحة الستار يرى جونى الملقب بالقسيس ، وهو لقب جدير به ، يرى بوجهه الشاحب النحيف ، الحليق ، وشعره الأبيض وعينيه الخفيفتى الزرقة .هذه الملامح أسبغت عليــه هيئــة القسيس ، حتى لو أنه ارتدى ثوب

القسيس لكان أنسب له من صدرية العامل . وانك لا ترى فى صوته ، ولا فى هيئته العامة ، ما يبعد الشك فى أنه شخصية هامة فى الميناء . ولكنك وراء ماتحسه من رقة فىصوته ،ولطافة فىهيئته ـ تحس وراء كلهذا ان الرجل يتوارى خلف قناع ، انه ساخر قاس ، فى مثل المسامير صلابة ونفاذا يرى متكئا وراء البار ، وقد أخذ راحته ، وترك نظارته فوق أنفه وراحيقرأ جريدة مسائية .

يدخل حمالان من الشارع فى صدريتى العمل وقد وضع كل منهما شارة النقابة فى قبعته وأمال القبعة فى رأسه بحيث تؤلف زاوية واضحة معالرأس.

الحمالالأول: (وهمايقفان فى صف على البار) أعطنى كأسا قوية من الشراب من الرقم الثانى (يرمى قطعة من النقود على البار) .

الحمالالثانى: ومثلها لى (جونى يضع كاسين من « وسكى البراميل » الرخيص أمامهما) .

الحمالالأول: صحتك ! (يومىء الآخر برأسه ، ويفرغان كأسيهما بجرعة واحدة) .

الحمالالثانى: (وهو يضع الدراهم على البار) أعطنا كأسا أخرى .

الحمالالأول: أعطنى هذه المرة كمية كبيرة من بيرة اللاجر ، والبورتر فانى عطشان ! .

الحمالالثانى: ومثلها لى (جونى يملأ كأسين كبيرتين من بيرة اللاجر والبورتر ، ويضعهما أمامهما وقد علتهما الرغوة . يشرب كل منهما نصف كأسه ، ويأخذان مسرعين فى الحديث بصوت خافت . يفتح الباب من الناحية اليسرى ،ويدخل لارى وهو فتى وردى الخد ، حسن الطلعة ، فى نحو العشرين من العمر) .

لاری : (وهو يومىء برأسه لجونى فرحا) : تحية أيها الرئيس .

جونى : أهلا بك ، لارى (ناظرا ساعته) جئت فى موعدك المحدد (لارى يذهب الى اليمين خلف البار ، يخلع معطفه ، ويلبس صدرية العمل) .

الحمال الأول: (فجأة) هيا نكمل الشراب ، ونرجع للعمل (يفرغان من شرابهما ، ويخرجان متجهين نحو اليسار ، يدخل موزع البريد حال خروجهما . يلتقى بجونى ، فيتبادلان التحية برأسيهما ، ويلقى الموزع رسالة على البار) .

الموزع : عنوان الرسالة بواسطتك يا جونى ، أتعرفه ؟ .

جونى : (يأخذ الرسالة ، ويقيم نظارته . يجىء لارى وينظر الى الرسالة من وراء كتفيه . جونى يقرأ ببطء) كرستوفر ، كرستوفرسن .

الموزع : (يعاونه) من أسماء اسكندنافية .

لارى : الشيخ كريس ــ انه هو ! .

جونى : أوه ، نعم لقد فاتنى أن كريس يحمل اسما معقدا كهذا كانت الرسائل تأتيه من قبل الى هنا ، لقد تذكرت الآن، على انها لم تأت منذ زمن بعيد .

الموزع : سيتسلم الرسالة اذن ؟ .

جونى : بالتأكيد ! انه يأتى الى هنا كلما كان فى الميناء .

الموزع (مستديرا للانصراف) أبحار هو ؟ .

جونى : (متكلفا الابتسامة) هو ربان سفينة من سفن الفحم .

الموزع : (ضاحكا) هذا عمل أيضا ! مع السلامة ! .

جونى : مع السلامة . ستصله الرسالة (يخرج الموزع ، وجونى

ينعم النظر فى الرسالة) لارى انه أسهل عليك أن تقرأ خيرا منى ، من أين هذه الرسالة ؟ .

لارى : (بعد أن ينظر اليها) من « سنت پول » . أظنهـــا فى ولاية « منيسوتا » . وخطها خط نسائى أيضا . يا له من شيطان ! .

جونى : له بنت فى مكان ما فى الغرب . أظنه قال لى هـــذا مرة (يضع الرسالة فوق أداة تسجيل النقود) خطر ببالى الآن ، اننى ما رأيته من زمن (يرتدى معطفه ويقترب من نهاية البار) يبدو لى أن وقت عودتى الى البيت قد حان ، الى اللقاء غدا .

لارى : ليلتك سعيدة ، سيدى (وحال يذهب جونى متجهـا نحو باب الشارع ، يفتح البـــاب ويدخل كريستوفـــر كريستوفرسن . وهو قصير بدين ، عريض الأكتاف ، فى نحو الخمسين من العمر ، ذو وجه مستدير أحمر ، لوحته الشمس والريح ، وعيناه خفيفتا الزرقة ، قصيرتا البصر ، تنمان عن نفس راضية مرحة . ويبدو فمه الواسع ، وكأنه معلق بشارب كثيف أصفر متهدل ، ترى فيـــه هيئة الرجل يعتز برأيه ، ولا ينقاد بسهولة لغيره وهو ذو رقبة غليظة ، قد ثبتت كالعمود فى جذع جسمه . وذراعاه انتهتا بكفين فيهما شعر علاهما النمش ، وانتهت ساقاه القصيرتان المتلئتان ، بقدمين واسعتين مفلطحتين يمشى وكأنه يتمايل . وصوته ـ حين لايكون عاليـا ـ يكون لطيفا ، انه يتحول الى ما يشبه الهمس مع شىء من الغموض والحزن فى نبرته . يرتدى بدلة بحرية سوداء ، غير محبوكة الهندام ، كأنها خيطت لغيره ، وقبعة بالية من قماش رمادى اللون ، قد تهـدلت فوق رأســـه ،

ذي الشعر الكثيف الأشقر الأشيب . يبدو ، وقد أشرق وجهه بانشراح أظهره بمظهر الشارب المنتشي . يمد يده الى جونى) .

كريس : مرحبا ، جونى ! خذ شرابا على حسابى . لارى تعال ، اعطنا شرابا ، وخذ كأسا لك على حسابى (مادا يده فى جيبه) لقد حصلت على نقود ـ نقود كثيرة .

جونى : (يهز كريس بيده) يقول المثل : « تحدث عن الشيطان تر الشيطان » الآن فرغنا من الحديث عنك .

لارى : (آتيا الى نهاية البار) أهلا ، كريس ، ضعها هنا (يتصافحان) .

كريس : (باشا) أعطنا شرابا .

جونى : (متكلفا الابتسامة) توشك أن تكون سكران . من أين لك الشراب ؟ .

كريس : (مبتسما) ملاح آخر ، فى سفينة شحن أخرى ، ارلندى ، جاءنا بقنينة من الوسكى وشربناها معا ، أنا وهو فقط ، وكم كان الشراب الذى فيها قويا ! وأنا الآن جئت من الساحل . لارى ! أعطنا الشراب . أحس نشوة الشراب ، وأحس أننى مرتاح (يضحك ويأخذ فى الغناء بصوت عال فيه شىء من الغنة والارتجاف) .

حبيبتى جوزفين تعالى الى السفينة .

لقد طال انتظارى . القمر قد أشرق ، وهو يحكيك حين يشرق .

تشى ـ تشى ـ تشى ـ تشى .

ش ش ، ش ش ، ش ش ، ش ش .

(يحرك ساعده فى المقطع الأخير وكأنه يقود فرقة موسيقية) .

جونى : (فى ضحكة) أتلك جوزفين نفسها ، يا كريس ؟ .

كريس : انك لا تعرف الانشودة الحسنة حين تسمعها ، انه أحد الايطاليين فى احدى سفن الشحن ، هو الذى علمنى هذا . أعطنا شرابا (يلقى بقطعة نقود على البار) .

لارى : (فى تكلف) أى شراب تفضلان يا سادة ؟ .

جونى : كأسا صغيرة من البيرة ، يا لارى .

كريس : وسكى ـ من الرقم الثانى .

لارى : (وهو يأتيهما بالشراب) سآخذ سيجارا على حسابك !.

كريس : (رافعا كأسه) صحتك ! (يشرب) .

جونى : وصحتك أيضا .

كريس : (فى الحال) خذ كأسا أخرى على حسابى .

جونى : لا . لا أريد هذا الآن . آن لى أن أذهب الى البيت . واذا فقد وصلت الآن فقط . وأين كنت قبل الآن ؟ .

كريس : فى نورفولك ، كانت رحلتنا بطيئة ، وكان الجو نحسا ، ضباب ، فى ضباب ، فى ضباب ! .

كان هكذا طوال الوقت (يدق جرس مدخل باب العائلة ، من الغرفة الخلفية ، دقا متواصلا ، كريس يهم بالقيام اليه مسرعا) أنا افتح الباب يا لارى ، لقد نسيت، انها مارثى ،وقد جاءت معى (يذهب الىالغرفة الخلفية) .

لارى : (بضحكة خفيفة) مازال يعيش مع تلك البقرة نفسها! يا للشيخ الأحمق ! .

جونى : (متكلفا الابتسام) كريس انسان طيب . انا ذاهب الى البيت ، وداعا (يسير متجها نحو باب الشارع) .

لارى : مع السلامة أيها الرئيس .

جونى : أوه ـ لا تنس أن تعطيه رسالته .

لارى : لا ! ما أنا بناسيها (يخرج جونى . وفى الوقت نفسه يفتح كريس باب مدخل العائلة ، فتدخل مارثى ، وهى بين الأربعين والخمسين من العمر ، ذات وجه « ملغد » مرقش ، وأنف كبير أحمر تشابكت فيه خطوط الأوعية الدموية الأرجوانية . وشعرها الكثيف الأشيب مجموع على شكل كومة ، وضعت كيفما اتفق فى قمة رأسها المستدير . وراحت بقوامها السمين المترهل ، تتنفس بصوت له أزيز مسموع . كانت تتكلم بصوت عال ذى نبرة رجالية ، يتقطع بضحكات متفجرة مبحوحة على انها قد بقى فى عينيها الزرقاوين الملتهبتين بريق فيه شهوة الشباب ، التى لم يستطع العرف القاسى أن يطفئها وفيها روح الفكاهة والسخرية ، ولكن بمزاج معتدل لطيف .

ترتدى قبعة رجالية وسترة رجالية ذات صفين من الأزرار وتنورة مخملية متسخة . وقدماها العاريتان قد غطيتا بحذاء رجالى واسع ، لدرجة جعلها تمشى بخطا غير متزنة.

مارثى : (بتذمر) ما الذى تريده بعملك أيها الرجل اذ تتركنى منتظرة طول النهار هناك ؟ (تتقدم وتجلس على النضد فى الزاوية اليمنى من الأمام) .

كريس : (بلطف) أنا آسف يامارثى ، تحدثت مع جونى ، ونسيتك. ماذا تشربين ؟ .

مارثى : (وقد سكن غضبها) هات مغرفة من « البيرة » ، بيرة اللاجر والايل .

كريس : سآتيك بها (يرجع الى البار) بيرة اللاجر والايل لمارثى ، يالارى . كأسا من الوسكى لى (يرمى قطع النقود على البار) .

لارى : لك ما تحب (ثم متذكرا ــ يأخذ الرســـالة من خلف البار)هذه رســالة لك مــن « ســنت پول » فى ولاية « منيسوتا » ، وخطها خط امرأة .

كريس : (يأخذها على عجل) واذا ، فالرسالة من ابنتى أنا ! انها تسكن هناك ! .

(يقلب الرسالة فى يديه كالشاك فيها) لم أتسلم رسالة ــ منذ سنة ــ من أنا .

لارى : (هازئا) هذه أسطورة لطيفة ، يمكن أن تحكى ، ــ ابنتك! اراهن أن هذا حديث خرافة .

كريس : (وقد ثاب الى عقله) لا هـــذه الرسالة جاءتنى من أنا (مأخوذا بالرســالة فى يده ثم شاكا) أقسم اننى ثمل لدرجة لا أستطيع معها قراءة رسالة أنا .

أرى الأولى بى أن أستريح دقيقة . هات لى الشراب الى الغرفة الخلفية، يالارى (يذهب الى الغرفة، على اليمين) .

مارثى : (فى غضب) أين الشرابالذى طلبته ؟ بيرة اللاجروالايل أيها الثقيل ! .

كريس : (مشغول البال) لارى ، هاته لها (يجلس مقابلا لها ، لارى يأتيهما بالشراب ، ويضعه علىالنضد ويتبادلالتحية مع مارثى بهز الرأس ، لارى يقف ناظرا الى كريسبغرابة، مارثى تأخذ جرعة كبيرة من كأسها وتتنهد تنهدة تنم عن الرضا ، ثم تمسح فمها بظهر كفها ، كريس يحــدق فى الرسالة لحظة ــ يفتحها ببطء ويأخذها بعينيه ويأخذ

فى قراءتها بصعوبة ،تتحرك شفتاه ،وهو يتهجى الكلمات، وحال يقرأ يشرق وجهــه منفعــلا بمزيج من الســرور والحيرة) .

لارى : أخبار سارة ! .

مارثى : (تحب أن تستطلع الأمر) ما هذا الذى عندك ؟ رسالة ! يالله ! .

كريس : (يسكت برهة بعد أن ينتهى من قراءة الرسالة ، كأنه يريد أن يجعل الأخبار تستقر فى نفسه ، ثم يضرب فجأة بقبضته على النضد ، وقد تهلل من الفرح) أحسب — والله — أن أنا تقول : انها قادمة فى الحال الى هنا ، تقول انها سئمت عملها ، ومرضت فى « سنت بول » . ان الرسالة قصيرة ، وهى لا تخبرنى بأكثر من هذا (يشرق وجهه) والله هذه أخبار سارة لشيخ مثلى (يلتفت الى مارثى ، وكأنه قد خجل) تعلمين يامارثى ، أننى قلت لك انى ، لم أر ابنتى أنا ، منذ أن كانت طفلة صغيرة فى السويد ، منذ أن كان عمرها خمس سنوات .

مارثى : كم يكون عمرها الآن ؟ .

كريس : يكون عمرها — دعينى اتذكر — يكون عمرها عشرين سنة . . . أوه . . . أوه .

لارى : (دهشا) لم ترها منذ خمس عشرة سنة ؟ .

كريس : (وقد أخذته الكآبة — فى صوت منخفض) لا ، حين كانت طفلة صغيرة كنت رئيســا للمــلاحين فى ســفينة شراعية ، ولم أذهب الى بيتى الا مرات قليلة فى تلك السنين أنا بحار سخيف . وامرأتى — أم أنا ، قد طال انتظارها فى السويد حتى ملت الانتظار ولم أعد اليها .

ثم جاءت الى هذا القطر ، وجاءت بأنا معها ، وذهبت الى « منيسوتا » لتعيش مع أبناء خالها فى المزرعة ، وحين ماتت أمها ، وكنت فى سفرة بحرية ، رأيت أولى لأنا أن تبقى مع أبناء خالها ، تعيش فى المزرعة لاتعرف شيئا عن البحر ، ذلك الشيطان اللعين ! ولا تعرف أبا مثلى .

لارى : (وهو يغمز مارثى بعينه) هذه الفتـــاة من المحتمل أن تتزوج بحارا . ان حب البحر والبحارة فى دمها .

كريس : (يقفز بغتة على قدميه ، ويضرب النضـــد بقبضته فى غضب متناه) لا — والله — لن تفعل هذا ! .

مارثى : (تأخذ شرابها بسرعة — وبغضب) أنظر أيها الأحمـــق ، أتريد أن تقلب كأسى وتريق شرابى ! ؟ .

لارى : (دهشا) أوه ! ما الذى دهاك ، ألست — وما زلت — بحارا ؟ .

كريس : (ببطء) نعم ، ولذا لا أريد لها ذلك (متكلفا الابتسامة) البحار انسان لا بأس به ولكنه لا يصلح زوجا لفتاة ، أنا أعرف هذا ، وأم أنا تعرف هذا أيضا ! .

لارى : (بينما يظل كريس غارقا فى تصوراته السوداء) متى تأتى ابنتك ؟ حالا ؟ .

كريس : (يتحرك) — والله — لقد نسيت (يقرأ الرسالة مسرعا) تقول انها آتية فى الحال ، وهذا كل ما فى الرسالة .

لارى : قد تأتى الى هنا لتبحث عنك ، على ما أظن (يرجع الى البار — وهو يصفر . يظل كريس وحده مع مارثى ، وهى تحدق فيه ، وقد بدت سخريتها منه فى عينيها ، كريس يضيق بالبقاء ، فينهض مسرعا) .

كريس : يجب أن أكلم لارى ، وسأعود حالا (بلطف) وسآتيك بكأس أخرى .

مارثى : (وقد أفرغت كأسها) وهذه كأسى (وحين يذهب الى البار بكأسها تنفجر ضاحكة خلفه ساخرة منه) .

كريس : (يهمس الى لارى بحذر) على أن ابعد مارثى عن الشاطىء قبل أن تأتى أنا . وأنا ستدعو ويلا وثبورا على ان هى رأتها ، ومارثى ستفعل مثل هذا ان سألتها الذهاب . يالله ! .

لارى : (بضحكة خافتة) هذا ما تستحقه أيها الشيطان الهرم . تصاحب امرأة وأنت فى هذا العمر .

كريس : (يحك رأسه حائرا) قل لى كذبة ، أقلها لمارثى ، يالارى، لتبتعد عن السفينة بسرعة .

لارى : تعرف ان ابنتك آتية ، قل لها تبتعد عنك وتتركك .

كريس : لا فانى لا أريد أن أسىء اليها .

لارى : أنت شيخ رقيق العواطف . ابعد ابنتك اذا عن السفينة ربما فضلت هى أن تبقى بعيدا عن الشاطىء (باستغراب) ماهو شغل ابنتكَ أنا هذه ؟ .

كريس : لقد بقيت تعمل فى مزرعة أقربائها الى ما قبل سنتين ثم اشتغلت مربية أطفال فى « سنت پول » (ثم يهز رأسه بعنف) لكننى لا أريدها أن تشتغل الآن ، أريدها أن تبقى معى .

لارى : (باحتقار) فى سفينة شحن الفحم لا أظنها تحب هذا ! ؟

مارثى : (صائحة من الغرفة المجاورة) الا تأتى بتلك الكأس التى وعدتنى بها ؟ .

كريس : (مرتبكا خائفا) نعم هأنذا آت يامارثى .

لارى : (يسحب كأسين من البيرة ، الايل واللاجر ، يسلمهما الى كريس ـ ضاحكا) أنت فى مأزق الآن وأولى أن تصارحها ، لتخلص ! .

كريس : (مرتجفا الى أخمص قدمه) أى والله ! (يأخذ الشراب الى مارثى ، ويجلس معها مع النضد ، تحتسيه وهى تتذوقه ساكتة . يتحرك لارى بهدوء حتى يقترب من الحاجز يستمع ، وهو متوقع أمرا . كريس يهم بالكلام ، ثم يتردد ويحتسى شرابه مرة واحدة كأنه يتلمس الشجاعة فيه . يحاول أن ينغم بصفيره مقطوعة « جوزفين » ، متظاهرا بالشجاعة وعدم الاكتراث ،ولكن الصفير يتلاشى من غير أن يحدث النغم . مارثى تنظره شزرا ، فتشيراشارة المسرور الىماتراهمنارتباكه وحيرته . كريس يتنحنح) مارثى .

مارثى : (بعنف) ما هذا ؟ (ثم تحاول أن تظهر بمظهر الغضبىفى حين أن السرور يبدو فى عينيها ، وهى تنظر الى كريس حائرة) اننى على بينة مما يدور فى رأسك أيها الثقيل ! انك تريد أن تتخلص منىوتبعدنى عنالشاطىء . عساهم يخبرونك بأن ليس بين أهل أسكندنافية ،الذين يعملون فى السفن من يستطيع أن يبلغ ذلك ، فعليك ألا تبدأ بما لا تستطيع انجازه .

كريس : (بحيرة وارتباك) ما أنا ببادىء بشىء ، يامارثى .

مارثى : (تحملق فيه لحظة ، ثم لا تستطيع أن تسيطر علىنفسها دون أن تنفجر ضاحكة) ههو ـ ههو ! أنت أيها الاسكندنافى السخيف ، الذى يهزأ به الناس ويضحكون

منه !ههو ـ ههو (يسمع لنفسها أزيز ، وهى تلهث لتتنفس) .

كريس : (فى غضب كغضب الأطفال) أنا لا أرى ما يضحك منه ! .

مارثى : عليك بنظرة فى المرآة وسترى ! ههو (تسيطر على نفسها فتضحك ضحكا مكتوما بازدراء) رجل عنيد سخيف من اسكندنافية ، يحاول أن يسخر من مارثى اوين فىأخريات الأيام ـ بعد أن عاشرت رجال البواخر فىالعشرين الأخيرة من الأعوام . اننى على بينة من لعبتك ، وقد أخذت لها الأهبة ، من فوق ، ومن تحت ، ومن سائر النواحى والجوانب أيضا ! اننى لم أكن قد خلقت لأجر الى جبهة النهر لقاء لا شىء . أتظن انى أثور على هذا وأخلق المتاعب ؟ لا ، لست أنا الذى يفعل هذا ، سأحزم أمتعتى وملابسىوأرتحل عنك ،وأخليك ،وأقول لك: ان نفسى قد ملتك وعافتك ، وسأتخلى عنك وأتركك . أرأيت الى هذا ؟ وهنالك أشخاص آخرون كثيرون فىسفن الشحن الأخرى ينتظروننى ، ولقد كانوا ـ وما زالوا ـ كثيرين ، (تضرب كريس ، وهو ذاهل مستغرب، على ظهره) واذا فافرح أيها الهولندى فسأغادر السفينة قبل أن تجىء اليك ، وستكون قد تخلصت منى الى الأبد . وأكون قد تخلصتمنكأيضا وما أحسنهخلاصا لنا معا !ههو ههو !.

كريس : (جادا) اننى لم أفكر فى هذا . ولقد كنت فتاة طيبة يا مارثى :

مارثى : (كالحة) فتاة طيبة ! فتاة طيبة ! لا تحاول أن تتملقنى . لقد تعاملنا بالحسنى ، لم تجر على ولم أجر عليك . وسنفترق ولا يكون فى نفس أحدنا شىء من الحقد

على صاحبه ، وسنظل صديقين حميمين ، أليس كذلك؟
(يعود لارى الى البار) .

كريس : (يرى متاعبه تولى ،فيستبشر ويفرح) أى نعم ،والله ! .

مارثى : على هذا النحو يكون الكلام ! وانى ـ فى حيـــاتى كلها ـ لم أحاول أن أنفصل عن صاحب ، بأن أوذيه أو أجرح شعوره . ولكن الذى كنت تخشـــاه هو أن أجـرك الى مشاجرة وعراك .
لا هذه ليست شيمتى (باحتقار) أتظن أن قلبى سينفطر لفراقك أو ضياعك أأنتحر أو أقتل نفسى ؟! ههو ههو ! يا آلهى ، لو أنى شغلت بالى بالرجال وحدهم لاسترحت؛ لأن العالم مملوء بالرجال (ثم بتمتمة بعد أن تفرغ كأسها) املأ لى كأسى مرة أخرى وسأشربها على صحة ابنتك .

كريس : (برغبة ولهفة) سأفعل ، وسآتيك بها (يأخذ الكأسين الى البار) أملأ الكأسين مرة أخرى، بمثل ما كان فيهما من قبـــل .

لارى : (يملأ الكأسين ويعيدهما على البار) أنها لم تكن سيئة ، شأن الكثيرات منهن .

كريس : (فرحا) لقد ـ والله ـ قلت لك انها فتاة طيبة ، وهأنذا احتفل الآن ! اعطنى كأسا من « الوسكى » ، هنـــا على البار أيضا (يضع النقود ولارى يأتيه بما يطلب) وخذ لك كأسا على حسابى يا لارى .

لارى : (بعفة) أنت تدرى أننى لم أمسســه .

كريس : انك لا تدرى ماذا أضعت ، صحتك (يشرب ـ ثم يأخذ فى الغناء بصوت عال) « جوزفين يا حبيبتى هيا الى ظهر

السفينة » ـ (يتناول الكأسين ، كأس مارثى وكأسه ويمشى مترنحا الى الغرفة الخلفية وهو يغنى) .

« لقد أشرق القمر ، وهو يحكيك حين يشرق .

شى ـ شى ، شى ـ شى ، شى ـ شى ، شى ـ شى » .

مارثى : (متمتمة ويداها على أذنيها) يا الهى ! .

كريس : (يجلس) أنا مغن كبير . نعم . ألا نشرب ؟ صحتك ! اننى أحتفل ! (يشرب) أحتفل بمجىء أنا الى . تعرفين يامارثى ، اننى لم أكتب اليها بالمجىء ، لأننى اعتقدت أننى لا أصلح لها ، ولكننى كنت أبدا أتشوق لرؤيتها ،وأرجو أنتشتاق لرؤيتى ، فتقدم يوما الى وهذا ـ والله ـ ما حدث اليوم (وجهه يتألق بالبشر) ما ترينها تشبه يا مارثى ؟ اننى أراهن أنها فتاة لطيفة ، قوية ، جميلة ـ جميلة ، وان عيشها فى المزرعة أسبغ عليها هذه الصفات . وأراهن انها ستتزوج ـ يوما ما ـ رجلا من الشرق يعمل فى الأرض ، لا فى البحر ويكون لها بيت وحدها ، ثم يكون لها أطفال ـ وأكون أنا حينذاك جدهم الشيخ ، أى والله فأذهب الى زيارتهم كلما جئت الى الميناء قريبا منهم (يغمره الفرح) أى والله . أنا أحتفل بهذا (يصيح عاليا) كأسا أخرى يالارى (يضرب عنيفا بقبضته على النضد) .

لارى : (آتيا من البار ـ منفعلا) على مهل ، لا تكسر النضد أيها التيس العجوز .

كريس : (يتهيأ للجواب ـ يتمتم تمتمة الأطفال ، ثم يأخذ فى الغناء). جوزفين ، يا حبيبتى ـ هيا الى السفينة .

مارثى : (تأخذ بذراع كريس محاولة استمالته) لقد غطست

بالشراب الى أذنيك أيها الرجل من اسكندنافية، اذهب ؛ واملأ جوفك بشيء من الطعـــام ، وستصحو ، وتنفض السكر عنك (وحين يهز كريس راسه معاندا) استمع الى أيها الشيخ الأحمق ! انك لا تدرى متى تقدم طفلتك وأنت تريد أن تلقاها صاحيا ، أليس كذلك ؟ .

كريس : (ينهض ــ يقف مترنحا على قدميه) نعم والله .

لارى : هذا اقتراح معقول . قطعـــة جيدة الطبخ من لحم البقر قد تعيدك الى صوابك ، فعليك بها ، وراء هذه الزاوية .

كريس : أى نعم ، وسأعود اليك فى الحال يامارثى (كريس يجتاز البار خارجا من الباب المطل على الشارع) .

لارى : سيعود وفى جوفه شىء من الطعام .

مارثى : نعم (لارى يعود الى البار ، فيستأنف النظر فى جرائده ، مارثى تحتسى ما بقى بكأسها من شراب صامتة متفكرة . يسمع صوت الجرس فى مدخل باب العائلة ، لارى يسرع اليه ويفتحه قليلا ، ثم يفتح على مصراعيه ، وقد كست الحيرة وجهه . تدخل أنا كريستوفرسن ، وهى فتـاة شقراء طويلة ، مكتملة الجسم ، فى العشرين من عمرها . وقد ظلت جميلة ، رغم ما يبدو من أنها اندفعت اندفاع الفتاة الطائشة المغامرة ، وهى الآن قد تدهورت صحتها، وظهرت فى هيئتها الدلائل الواضحة المشيرة الى أنهـا كانت تتاجر بجسمها وقد لاحت بوجهها المكتسى بروح الشباب السخرية بما فى الدنيا من وراء ما وضع فوقه من أصباغ وتبرج كاذب . أما ملابسـها ، فهى من هذا النوع الرخيص السمج فى زركشة ، وهو لبـاس الفلاحة تنقلب عاهرا . تدخل وترمى بنفسها وهى متعبة فى كرسى بجانب النضد ، على الجانب الأيسر) .

أنا : أعطنى كاسا من «الويسكى» ممزوجا بالجنجرايل (وحين يلتفت لارى ذاهبا تبتسم له ابتسامتها التجارية) ولاتكن شحيحا أيها الفتى .

لارى : (منبكما) أتريدينه فى اناء كبير ؛ فى « سطل » ؟ .

أنا : (بضحكة عالية) هذا انسب ما يكون عندى (يذهب لارى الى البار . تحدق الفتاتان الواحدة فى الأخرى بنظرات واضحة صريحة . لارى ياتى بالشراب فيضعه امام أنا ويعود الى البار ، أنا تحتسى كاسها بجرعةواحدة. وحين يأخذ الشراب يفعل فعله فيها ، تلتفت الى مارثى وتبتسم اليها ابتسامة الصديق) يا ... ما أحوجنى الى هذا ! ما أحسنه ؛ ما أحسنه ! .

مارثى : (تهز رأسهاكأنها تشاركها فيمشاعرها) نعم ، يبدو عليك ذلك . ان التعب قد بدأ عليك حتى كأنك كنت فى سهر متعب .

أنا : لا ــ انه السفر ؛ يوم ونصف يوم فى القطار ، وكان على أن أقضى الليل كله جالسة فى عربة قذرة أيضا .

يا الهى لقد تصورت أننى لا أستطيع أنأصل الىهنا أبدا !

مارثى : (فزعة تنظرها نظرة الفاحص) ومن أين جئت ؟ .

أنا : من « سنت پول » فى ولاية « منيسوتا » .

مارثى : (محدقة فيها بحيرة وعجب ــ ثم بصوت هادىء) واذا أنت (ثم تنفجر بضحكة تهكمية فظة) . يا الهى .

أنا : فى طريقى من ولاية « منيسوتا » (تحدق فيها) علام تضحكين ؟ على ! ؟ .

مارثى : (مسرعة فى الرد) لا والله يا صغيرتى الحبيبة ، وانما هى أمور أخرى تدور بخاطرى .

أنتّا : (وقد طابت نفسها للجواب ـ بابتسامة) حسن ، واذا فأنا لا ألومك على هذا ، يبدو أننى فى حالة رثة مزرية ـ اننى غادرت المستشفى منذ أسبوعين فقط . سأطلب قدحا آخر من الشراب ، فهل لك أن تطلبى على حسابى قدحا ؟ .

مارثى : نعم سأفعل ، واشكرك (تصيح) هيا يالارى الينا (يدخل).

أنتّا : قدحا آخر مثل هذا .

مارثى : وقدحا آخر مثل هذا (يتناول لارى كأسيهما ويخرج) .

أنتّا : لم لا تتفضلين بالجلوس هنا ، وتكونين اجتماعية . ان الوحدة تكاد تقتلنى فى هذه المدينة ـ وانى لم أفه بكلمة مع انسان منذ أول أمس .

مارثى : هذا صحيح (تنتقل الى نضد أنا وتجلس فى مواجهتها لارى يأتى بالشراب فتدفع أنا الثمن) .

أنتّا : صحتك (تشرب) .

مارثى : سعادتك (تأخذ جرعة من كأسها) .

أنتّا : (تتناول أول علبة من السجاير ، من حقيبتها) هم يسمحون بالتدخين هنا ، أليس كذلك ؟ .

مارثى : (مترددة) نعم ، ترمينها ، اذا لمحت بعض الناس يدخل.

أنتّا : (تشعل سيجارة وتتخذ منها نفسا عميقا) يالله ! يبدو لى أنهم فى جلبة ولغط فى هذا المكان المزعج . أليس كذلك (تنفخ الدخان ناظرة الى سطح النضد ، مارثى تتطلع اليها ، ثم تتفرس فى وجهها ، ناظرة بدقة الى قسماته وملامحه . انا تلتفت فى الحال الى تلك النظرة التى يقصد

بها تقدير مالها من مال وجمال ممتعضة) اترين فى ما لا يليق ؟ يبدو لى أنك تطيلين النظر الى ؟ .

مارثى : (متأثرة بالجلبة حولها ـ بازدراء) ليس لى أن أطيل النظر ، ولقد عرفتك من اية طبقة انت ، لحظة دخلت الى هنا .

أنّا : (تغمض عينيها بعض الاغماض) ماذا دهاك ؟ وانا قد عرفتك أيضا ، وبغير عناء . انك تكبرينني بأربعين عاما، نعم هذه أنت (تضحك ضحكة عالية) .

مارثى : (غاضبة) اهذا ما عندك ؟ أقول لك صراحة يا صغيرتى ، بأن مارثى اوون ليست أبدا . . .

(تقطع حديثها لحظة ـ ثم تتمتم) علام نتماحك فى هذا؟ ألا ترين أن نكف عن مثل هذا الحديث ! انا لا اريد أن اجرح شعور انسان (تمد يدها اليها) هيا نتصافح ونضرب صفحا عن هذا .

أنّا : (تصافحها مسرورة) أنا مسرورة جدا بهذا اننى لاأقصد الى الاساءة ، دعينا نطلب كأسا أخرى ، ما رأيك ؟ .

مارثى : (هازة رأسها) لا أريد لقد اكتفيت . وانت ألست بلا طعام من مدة ! ؟ .

أنّا : ما أكلت منذ صبيحة هذا اليوم ، فى القطار .

مارثى : اذن أولى بك أن تتمهلى فى الشراب ، أليس كذلك ؟ .

أنّا : (بعد أن تتردد لحظة) أحسبك على صواب فيما قلت ، ولا سيما وأنا موشكة أن ألقى بعض الناس ولكن ما العمل وأعصابى توشك أن تنهار بعد هذه الرحلة الطويلة المتعبة ! .

مارثى : قلت انك تركت المستشفى منذ أمد قصير ؟ .

أنّا : منذ أسبوعين (تتكىء على مارثى ــ تتحدث اليها حديث الصديق) ان المحل الذى كنت به خارج سنت بول ، كان قد هاجمته الشرطة ، وكانت هذه هى البداية ، وقد حكم القاضى على كل منا نحن الفتيات ، بثلاثين يوما فى الحبس ، ولم يكن من الصعب على الفتيات الأخريات أن يحتملن . لأن بعضهن كن قد اعتدنه ، أما أنا فلم أطقه ولم أستطع أن آكل أو أنام أو . . . . اننى لم أطق أن أكون سجينة فى قفص . وقد رأونى طيبة ومرضت فلم يكن بد ، من أن أرسل الى المستشفى . كانت اقامتى فيه لطيفة ، حتى اننى أسفت حين غادرته .

مارثى : (بعد أن تتوقف لحظة) وهل قلت . ان عليك أن تقابلى انسانا ما هنا ؟ .

أنّا : نعم ، لا ، انه لم يكن ما خطر ببالك . أبى الشيخ هو الذى أريد مقابلته . أقسم ان هذا غريب أيضا . اننى لم أره منذ كنت طفلة ، بل اننى لا أعرف شكله ولا هيئته ــ وكل صلتى به هو أننى أتسلم رسالة منــه بين الحين والحين . وهذا هو العنوان الوحيد الذى أعطانيه لأكتب اليه . انه الآن بواب عمارة ، وقد كان بحارا من قبـــل .

مارثى : (مستغربة) بواب عمارة ! ؟ .

أنّا : نعم هو ذاك ، أنه لم يعن فى حياتى كلها بشىء ، وقد بدا لى أنه ربمـــا ود لو يؤوينى فى غرفة ، فأظل آكل حتى أستريح (تعبة ضجرة) يالله ! ما أحــوجنى الى تلك الراحة ! اننى منهارة متهدمة (تعود الى نفسها) على أننى لا أتوقع الكثير منه . انه يركلك برجله حين يرى الا فائدة فيك . وهذا ما يفعله الرجال كلهم (ثم فى انفعال مفاجىء)

الرجال ، انا اكرههم ، اكرههم كلهم ، وانني لا اتوقع أن يكون هو خيرا من الآخرين . (ثم بسرور مفاجيء) أقول . هل تترددين كثيرا الى هنا ؟ .

ماربى : أوه ! بين الآونة والأخرى .

أنا : واذن ربما تعرفينه ــ والدى الشيخ ــ او على الأقل ربما رأيته .

ماربى : انه الشيخ كريس ، أليس كذلك ؟ .

أنا : الشيخ كريس .

ماربى : كريس ، كريستوفرسن ، هذا اسمه الكامل .

أنا : (منفعلة) نعم ، هو ذا . وأنا كريستوفرسن هو اسمى الحقيقى ــ على أننى فى الخارج أسمى نفسى أنا كريستى ، واذن فأنت تعرفينه ! .

مارثى : (تروغ فى الحديث) كنت أراه من سنين .

أنا : قولى لى أرجوك ، حدثينى عن حاله وهيئته .

مارثى : أوه ، انه قصير ، و ...

أنا : (ينفد صبرها) اننى لا يعنينى أن أعرف ماذا يشبه ، او ما هيئته ــ ولكنى أريد أى صنف من الرجال هو ؟ .

مارثى : (بجد ورزانة) نعم ، تستطيعين يا صغيرتى أن تأمنى على حياتك بالعيش معه ، انه كأحسن ما يكون انسانا يمشى على قدميه لطافة وطيبا . أجل . انه كذلك .

أنا : (وقد سرت بما سمعت) يسرنى أن أسمع هذا ، واذن أتظنينه يحقق لى الراحة التى أنشدها بعد المرض ! ؟ .

ماربى : (بلهجة التوكيد) وسيكون لك هذا بغير شك (ثم باشمئزاز) ولكن كيف عرفت انه كان بوابا ؟ .

أنّا : لقد كتب لى هو بذلك .

ماربى : نعم ، انه كان كاذبا فى هذا ، انه لم يكن كذلك ، ولقد كان رئيسا للملاحين فى سفينة شحن ، وكان خمسة رجال تحت امرته .

أنّا : (مشمئزة مما سمعت) سفينة شحن ! ؟ أى نوع من سفن الشحن هذى !

مارنى : سفينة لشحن الفحم غالبا .

أنّا : سفينة لشحن الفحم (بضحكة عاليـــة) ما احسن أن تجدى أباك الشيخ الذى اضعته طويلا يشتغل فى هذا . يالله ! لقد عرفت شيئا قد يقلب ما تصورته ، وما أكثر ما يحدث لى هذا ! ان تصورى أنه سيريحنى قد نحيته جانبا .

ماربى : ماالذى تعنينه بهذا ؟ .

أنّا : أحسبه يعيش فى سفينة ، أليس كذلك ؟ .

مارنى : نعم هو كذلك ، وماذا فى هذا ؟ الا يمكنك أن تعيشى معه أيضـــا ؟ .

أنّا : (باحتقار) أنا فى سفينة قـــذرة لشحن الفحم ! هـــذا ظنك بى ! ؟ .

مارثى : (ممتعضة) وما الذى تعرفينه عن سفن الشحن ؟أراهن أنك لم يسبق لك أن رأيت واحدة منها . وقد فضـــل هو أن يربيك فى البر ــ بعيدة عن البحر ، ذلكالشيطان الرجيم ، حيث تكونين آمنـــة . يا الهى ! (يوقظ التهـــكم عاطفة الضحك فتضحك ضحكة فظة) .

أنّا : (غاضبة) تربيته لى ! وهل هذا هو ما يخبر به الناس ؟

ما أقدره على ضبط أعصابه ! لقد تركنى عند أبناء خالى فى مزرعتهم ، وقد أرهقونى بالعمل حتى كدت أن اموت ، ميتة كلب .

ماريى : نعم ، وقد كون له آراء غريبة عن بعض الأمور . لقد كنت أسمعه يقول ان المزرعة خير مكان يربى فيه الطفل.

أنّا : حقا وهذا ما كان يرد به على رسائلى دائما . هذا وجملة من الآراء السخيفة حول البقاء بعيدا عن البحر. آراء لم أعرف لها رأسا ولا ذنبا ، حتى لقد ظننته مخبولا أو معتوها .

ماريى : انه لكذاب فى هذا الأمر (تتحدث عرضا) ولذا لم ترقك حياة المزرعة ؟ .

أنّا : يجب أن أقول : لا . كان فى المزرعة صاحبها الشيخ ، وزوجته ، وأولاده الأربعة ، وكنت أقوم بما يقوم به العبد المملوك ،لكل منهم . كنت فقيرة مسكينة من أقربائهم، وكانوا يعاملوننى بأقصى وأقبح ما يستطيعون أن يعاملوا به فتاة أجيرة (وبعد أن تسكت لحظة ــ بكآبة) وكان احد أولادهم ، وهو ، الأصغر ، قد اعتدى على حين كنت فى السادسة عشرة . ولقد كرهتهم بعد ذاك . حتى لوددت أن أقتلهم جميعا ، لو أننى بقيت معهم . ولذلك هربت بعيدا عنهم ــ الى (سنت پول) .

ماريى : (وكانت تصغى اليها بعاطفة) لقد سمعت الشيخ كريس يقول : انك كنت مربية هناك ، فهل كانت هذه حيلة منك كتبت بها اليه ! ؟ .

أنّا : لا وحياتك ، هذا لم يكن . كان هذا صحيحا لسنتين ، اننى لم أسر فى طريق الغواية دفعة واحدة ــ لقد قضي على أن أكون مربية فصرت أعنى بأطفال الناس ، فأستمع دوما الى بكائهم وصراخهم . هذا كله فى حين أننى أنا

نفسى كنت طفلة ، وكنت احب ان أخرج واتفرج . وأخيرا كانت لى الفرصة ، فى أن أصل الى ذلك البيت ، وكونى على يقين بأن هذه كانت فرصة انتهزتها (متحدية) بل اننى غير آسفة على ما كان أيضا (تتوقف لحظة ــ ثم فى كره شنيع) كان هذا كله جرم الرجال وذنبهم . كان الرجال فى المزرعة يأمروننى ويضربوننى ــ وهم الذين ابتداوا معى تلك البداية الشنيعة . وحين صرت مربية ، عاد الرجال مرة أخرى يحـومون حولى يضايقـوننى ويحاولون أن يحصلوا على ما يستطيعون الحصول عليه منى (تضحك ضحكة عالية) والآن هم الرجال ابدا ابدا . يا الهى ! انا اكرههم جميعا ، اكره كل ابن انثى منهم . ألست أنت كذلك ؟ .

مارثى : أوه ! أنا لا أدرى . فيهم البر وفيهم الفاجر ، يا صغيرتى. لقد جربت حظك السىء معهم وهذا كل ما فى الأمر . ان اباك الشيخ الآن ــ الشيخ كريس رجل بر .

أنّا : (شاكة) عليه أن يثبت لى ذلك .

مارثى : وظللت تكتبين اليه أنك مربية أطفال ، حتى بعد أن صرت فى ذلك البيت ، أليس كذلك .

أنّا : نعم ، (ساخرة) ولا أظنه يهمه هذا .

مارثى : انك مخطئة فيما تظنينه به يا صغيرتى (برزانة) اننى أعرف الشيخ كريس منذ مدة طويلة ، وكثيرا ما حدثنى عنك . وكان يظن أنك خير ما فى العالم . صدقينى انه كان كذلك .

أنّا : أوه كفى استخفافا وهزءا .

مارثى : أقسم لك انه شيخ سمح ساذج . أرأيت ؟ قد تكون له آراء غريبة خاطئة ، ولكنه لم يقصد الا الى الخير .

اصغى الى ، يا صغيرتى (تقطع كلامها حين تشعر بباب البار الذى على الشارع يفتح ويطبق ، وبصوت كريس الذى تسمعه) اس اس .

أنّا : ما بك ؟ .

كريس : (يدخل الى البار — ويبدو صاحيا غير سكران) أى والله يا لارى ، كانت تلك أكلة شهية . هل عادت مارثى ؟ .

لارى : نعم — ومعها عبارة أخرى أيضا (كريس يتجه الى مدخل الغرفة الخلفية) .

مارثى : (تهمس بسرعة وانفعال الى انا) ها هو ذا الآن . انه آت الى هنا فتأهبى .

أنّا : من هو ؟ (كريس يفتح الباب) .

مارثى : (وكأنها تحييه للمرة الأولى) ، اهلا وسهلا ، بالشيخ كريس (وقبل أن يتكلم ، تنتقل من مكانها بسرعة ، فتتقدمه مومئة اليه أن يتبعها) تعال هنا ، أريد أن ازف اليك خبرا (يمضى اليها فتسرع فى الهمس اليه) استمع الى ، انا ذاهبة الى السفينة ، لأجمع أمتعتى وأبتعد . انها هى التى هناك — فتاتك أنا — جاءت الآن وهى فى انتظارك. أحسن معاملتها ، أسمعت ؟ لقد كانت مريضة . والآن وداعا ومع السلامة (تعود الى الغرفة الخلفية الى انا) وداعا يا صغيرتى .

آن لى أن أذهب الآن ، وعساى ألقاك فيما بعد .

أنّا : (منفعلة) وداعا ، وداعا ! (مارثى تسرع خارجة من مدخل العائلة) .

لاري : (وهو ينظر الى كريس الذى بدا كمن اضاع رشده ـ بعجب) حسن ، وما بك الآن ؟ .

كريس : (بصوت غير واضح) لا شيء ـ لا شيء (يقف أمام الباب الموصل الى الغرفة الخلفية ، فى ثورة من الانفعال شديدة ـ ثم يرغم نفسه على قرار حازم ، يدفع الباب فينفتح ، ويخطو الى الداخل . يقف هناك ، ينظر فى شيء من الخجل الى أنا ، وقد حيره وأخافه ما رأى من ملابسها البراقة ، وهيئتها الجذابة . كان ينظر الى نفسه نظرة فيها الشفقة والانفعال ، حتى كأنه كان يجنب نفسه نظراتها الفاحصة التى تنفذ بها الى وجهه ، وملابسه و ... ـ يبدو صوته ، وكأنه يتوسل اليها) أنا ! ! .

أنّا : (فى حيرة شديدة وارتباك) أهلا ـ أبى . لقد قالت لى انك أنت ـ وقد وصلت الى هنا من مدة قصيرة .

كريس : (يتقدم ببطء الى كرسيها) ما أجمل أن أراك ، بعد هذه السنوات الطويلة يا أنا ! (ينحنى عليها ـ وبعد ارتباك وصراع عنيف يقبل كل منهما صاحبه) .

أنّا : (فى صوت يشوبه شعور غير متكلف) وما أجمل أن أراك ايضا ! .

كريس : (يلمس ذراعيها ، وينظر فى وجهها ـ ثم تغلبه موجة من الرقة) أنا ـ ليللا . أنا ـ ليللا(١) ! (يحتضنها بذراعيه) .

أنّا : (تتراجع منكمشة منه ـ فى شبه ارتياع) ما هذا ؟ اللغة السويدية ؟ أنا لا أعرفها (ثم بهمهمة سريعة ، حتى كأنها تلتمس الراحة مما شعرت به) يالله ! لقد كانت رحلتى الى هنا رحلة مزعجة متعبة . كان على أن أقضى ليلتى كلها فى عربة قذرة . وتعذر على أن أنام ثم كان

(١) يعنى يا صغيرتى بالسويدية .

على بعد ذلك ان أهتدى الى هذا المكان . أنت تدرى أننى لم يسبق لى أن جئت الى نيويورك من قبل ، و . . .

كريس : (وهو يحدق فى وجهها تحديقة المعجب ، حتى كأنه لم يسمع ما قالت) .
اتدرين أنك فتاة جميلة يا أنا ، وانى ـ لأراهن أن الرجال الذين يرونك كلهم ، يقعون فى حبك .

أنَّا : (نافرة مشمئزة ـ بعنف) كف عن هذا ! انت تتكلم كما يتكلم غيرك من الرجال ! .

كريس : (وقد آلمه ما سمع ـ بمسكنة) لا بأس أن يتحدث أبوك على هذا النحو يا أنا .

أنَّا : (بتكلف ضاحكة ضحكة قصيرة) لا ، بالطبع لا . وانه لمن الغريب أن أراك ولا أتذكر شيئا . انك كالغريب .

كريس : (بكآبة وحزن) أحسب أننى كنت لا آتى الى البيت ، الا مرات قليلة ،يوم كنت طفلة فى السويد . ألا تتذكرين هذا ؟!

أنَّا : لا (بامتعاض) ولكن لم تكن تأتى هناك فى تلك الأيام ؟ ولم لم تأت أبدا الى الغرب لترانى ؟

كريس : (متمهلا) كنت أحسب ، بعد أن ماتت أمك وأنا بعيد فى احدى رحلاتى ، أن من الخير لك الا ترينى (يترامى كئيبا فى كرسى مقابل لكرسيها ـ ثم يلتفت اليها حزينا) انى لا أعرف يا أنا ، لم لم أذهب الى بيتنا فى السويد فى السنوات الماضية . كنت أود أن اذهب الى بيتى عقب كل رحلة . وكنت اريد أن ارى امك ، وارى أخويك قبل أن يغرقا ، وكنت أريد أن أراك ، وقد ولدت حديثا ـ ولكننى لم اذهب . لقد وقعت عقدا فى سفن ذاهبة الى جنوب أمريكا ، وذاهبة الى أستراليا ، وذاهبة الى الصين ، وذاهبة الى كل مرفأ فى العالم ـ مرات عديدة ـ ولكننى لم أركب سفينة تبحر الى السويد . وحين حصلت

من المال على ما يمكن أن أدفعه فأسافر راكبا احدى السفن ـ (يطأطىء رأسه كالمعترف بذنبه) نسيت ، وصرفت النقود كلها . وأدرت هذا بخاطرى مرة أخرى ولكن كان قد فات الأوان (يتحسر) انني لا أعرف لم كان هذا ، ولكن هذه سبيل معظم البحارة ، يا أنا . انه البحر ، ذلك الشيطان اللعين ، يغريهم بحيله القذرة ، فيسلب رشدهم ، ويضيع صوابهم . وهذا هو شأنه وديدنه ! .

أنّا : (وكانت تتفحصه بدقة وهو يتحدث ـ بصوت تظهر فيه نغمة الازدراء) واذن فأنت ترى ان البحر هو الملوم فى كل هذا ؟ حسن ، فأنت ما زلت تشتغل فيه ، أليس كذلك ؟ وتشتغل فيه رغم كل ما كنت تحدثنى عن كرهك له فيما تكتب الى . أن السيدة التى كانت هنا ، حدثتنى انك رئيس للملاحين فى سفينة لشحن الفحم ـ على حين كتبت الى انك بواب احدى العمارات .

كريس : (مرتبكا ، ولكنه يسرع فى الكذب) أوه ، لقد اشتغلت بوابا ، مدة طويلة ، ولم أشتغل بهذا الا حديثا ، لأننى كنت مريضا وكنت بحاجة الى الهواء الطلق .

أنّا : (شاكة فيما قال) مريضا ؟ أنت ؟ ما من أحد يصدق انك مريض .

كريس : وهذا العمل ، يا أنا ، ليس بعمل ملاح كما يجب أن يكون الملاح ، وهذه السفينة التى أنا فيها ليست بسفينة حقيقية تعمل فى البحر ، وانما هى حوض قديم كبير ـ وهى تشبه ان تكون قطعة من الأرض ـ عليه بيت طاف... والعمل فيها لا يشبه العمل فى البحر ، لا . واننى افضل ان أموت يا انا ، على أن اقوم بعمل فى البحر ، ولقد

اقسمت على هذا ، يوم ماتت أمك ، وسابر ـ والله ـ بقسمى .

انّا : (متحيرة) . حسن اننى لا أرى فرقا (تطرد موضوع الحديث) واذ تحدثنا عن المرض ، اقول لك اننى كنت مريضة ، ولم اغادر المستشفى الا منذ اسبوعين فقط .

كريس : (يلتفت فى الحال الى ما قالت) : انت يا انا ؟ ـ اى والله (متشوقا) وهل تحسين الآن ان صحتك تحسنت ؟ يبدو لى أنك ما زلت منهوكة بعض الشيء .

أنّا : (بتعب) : نعم ، أوشك أن أموت تعبا ، اننى بحاجة الى راحة طويلة ، ولا أرى الفرصة تواتينى فى الحصول عليها .

كريس : ماذا تعنين بهذا يا أنا ؟ .

أنّا : نعم ، حين حزمت امرى على أن اجيىء لرؤيتك ، كنت احسبك بوابا ـ وكنت أحسب انك بهذا يكون فى وسعك أن تجد لى مكانا تؤوينى فيه معك ، فأزورك ريثما أستريح وأعود الى عملى مرة أخرى .

كريس : (بلهفة وشوق) ولكن عندى مكان لك ـ مكان جميل ! وبوسعك والله ، أن تستريحى فيه ما شئت . وليست بك ـ والله ـ حاجة بعد الى أن تشتغلى مربية مرة أخرى أبدا . اريد ـ والله . ! ـ أن تظلى معى .

أنّا : (مستغربة ، مسرورة مما رأت من لهفته ـ مبتسمة) واذن ، فأنت مسرور حقا أن ترانى ؟ .

كريس : (يضغط احدى يديها بكلتا يديه) أنا ! لقد قلت لك اننى أشوق ما أكون الى رؤيتك ، وأرجو الا اسمعك بعد الآن

تتحدثين عن عمل لك . أريد أن تظلى معى ، وانك لم تنسى أننى لم أرك منذ أمد طويل طويل (بصوت مرتعش) اننى شخت وشبت ، وليس لى فى الدنيا سواك .

أنّا : (متأثرة بقوله ـ مرتبكة بما رأته من احساس غريب منه) شكرا ! جميل أن أسمع انسانا يتحدث معى على هذا النحو . أقول : اذا كنت تشعر الى هذا الحد بالوحدة ـ وهذا غريب : ـ لم لم تتزوج مرة ثانية ؟ .

كريس : (هازا رأسه ـ وبعد أن يسكت لحظة) اننى أحب أمك الى الأبد ! ولن أفعل هذا ، يا أنا .

أنّا : (متأثرة ـ على مهل) آننى لا أذكر شيئا عنها ،فهل لك أن تحدثنى بشىء عنها ! ؟ .

كريس : سأحدثك بكل شىء عنها ـ وأود لو حدثتنى بكل ما مر بك من أحداث ، ولكنى لا أريد أن يكون هذا هنا الآن ، اذ ليس هذا بمكان يليق بفتاة مثلك أن تكون فيه ، وانك لا تجدين فيه الا ملاحا ، يجىء للشراب والسكر (يقف على قدميه بسرعة ، ويتناول حقيبته) تعالى معى يا أنا . انك بحاجة لأن تنامى وتنالى قسطك من الراحة .

أنّا : (تهم بالوقوف على قدميها ، ثم تعود جالسة) الى أين تذهب ؟ .

كريس : تعالى ! الى ظهر السفينة .

أنّا : (وكأن رجاءها قد خاب) على ظهر سفينة الشحن التى أنت فيها ؟ (بجفوة) لا ، لست أنا التى تذهب (تراه ينظر نظرة الذليل المتوسل ـ فتتكلف الابتسام) أتظن أن هذا مكان مناسب لفتاة شابة مثلى ! سفينة لشحن الفحم ؟ .

كريس : (متثاقلا) نعم ؟ أظن ذلك (يتردد لحظة ــ ثم يعاود الحديث برجاء متزايد) انك لا تدرين كيف تكون الحياة جميلة على ظهر السفينة يا انا ! ان يأتى المركب الذى يسحب سفينتنا الراسية ، فنذهب فى رحلة بحرية ، وأن نكون بها فنرى الماء من حولنا ، والشمس ، والهواء الطلق ، والطعام المرىء ، وهذا ما سيعيد اليك صحتك ، ويجعل منك فتاة صحيحة قوية ! سترين أشياء كثيرة لم يسبق لك أن رأيتها من قبل . ستتطلعين متفرجة على القمر حين يطلع فى الليل ، وترين البواخر تمر بنا والسفن تقلع وتبحر ــ بل وترين كل ما هو جميل . انك بحاجة الى مثل هذه الراحة . لقد قمت من قبل بما يصعب على فتاة مثلك أن تقوم به ، وانك الآن بحاجة الى عطلة ــ نعم ! .

أنَّا : (وقد كانت تصغى اليه بسرور متزايد ــ ثم بضحكة خافتة) ما أجمل أن أسمعك تتحدث بهذا ! ما أحوجنى الى رحلة بحرية ! حسن ، ان فكرة سفينة الشحن هى التى جعلتنى أتوقف . نعم سأنحدر معك وأرى ــ يا ... اننى أحب أن أجرب كل شىء مرة واحدة .

كريس : (يتناول حقيبته مرة أخرى) سنذهب ، أليس كذلك ؟.

أنَّا : وعلام الاستعجال ؟ تمهل لحظة (تنسى موقفها لحظة ، فتعود الى حالتها فتبتسم له ابتسامتها التجارية التى اعتادتها) يا ... أنا عطشى ! .

كريس : (يضع حقيبته على الأرض فى الحال ــ ويسرع) أنا آسف يا انا ! ماذا تحبين أن تشربى ؟ .

أنَّا : (تسرع بالجواب) سآخذ ... (ثم تتذكر فجأة ــ فترتبك وتتلعثم) لا أدرى . أى شراب عندهم هنا ؟ .

كريس : (بابتسامة) لا أظن أن لديهم هنا كثيرا من أنواع المشروبات التى تناسب فتاة مثلك ، يا أنا . قد يكون (الجنجرايل) أو « الساسبولا » مناسبا .

أنّا : (تتكلف الضحك) فليكن الساس اذن .

كريس : (متقدما اليها ــ وهو يطرف عينيه) لقد قلت لك يا أنا ــ اننا نحتفل ، ــ هذه المرة وحدنا ، لأننا قد التقينا بعد سنوات (فى شبه همس ــ مرتبكا) عندهم شراب جيد من (البورت واين) يا أنا ، ويبدو لى أنه مناسب لك . ويبدو لى أن قليلا منه يفتح شهيتك للطعام . ثم هو ليس بالشراب القوى المؤثر ايضا . وأعدك بأن كأسا واحدة لا تذهب بصوابك .

أنّا : (تضحك ضحكة عصبية) حسن ، سأشرب «البورت» اذن .

كريس : اذهب لأجيئك به (يذهب الى البار ــ وحال يطبق الباب، تقوم أنا واقفة على قدميها) .

أنّا : (متناولة حقيبتها ــ متمتمة بصوت يوشك أن يسمع) يا الهى ! لا أستطيع أن أطيق هذا ! وينبغى لى أن أنصرف (ثم تترك حقيبتها تسقط من يدها ، وتلقى بنفسها فى كرسيها وقد غطت وجهها بيديها ، وأخذت تنشج وتبكى) .

لارى : (يترك جريدته حال يأتيه كريس ثم يتمتم) حسن ، ومن هى هذه الشقراء ؟ .

كريس : (بفخر) انها أنا ، يالارى .

لارى : (بحيرة ودهشة) ابنتك ، أنا ؟ (كريس يهز رأسه . لارى يصفر صفيرا طويلا واطئا ، ويلتفت عنه مرتبكا) .

كريس : الا ترى انها فتاة جميلة ، يالارى ؟

لارى · (يقف) نعم ، ما من شك فى أنها كذلك ·

كريس : نعم ، بالتأكيد ! أعطنى الشراب لأرجع اليها . كأسا من شراب (البورت واين) لأنا ــ انها تحتفل بالتقائها معى ــ وكأسا صغيرة من شراب « البيرة » لى ·

لارى : (وهو يأخذ الشراب) كأسا صغيرة من البيرة لك ؟ ·

كريس : (مسرورا) نعم ، هو كذلك ! (يأخذ الشراب ، وحال تسمعه أنا عائدا تسرع الى ادمعها تجففها ، وتحاول أن تتكلف الابتسام . يدخل كريس · ويضع ما جاء به من الشراب على النضد ــ ينظر اليها لحظة بلهفة وشوق ــ ثم يربت يدها) يبدو عليك أنك تعبة ، يا أنا ،نعم ،سأعمل على أن تستريحى طويلا ، الآن (يتناول كأسه المترعة بشراب البيرة) هيا ، واشربى شرابك انه يبعث فيك حياة جديدة (ترفع كأسها ــ ويتمتم هو) صحتك(١) يا أنا، (يقولها بلغة السويد) تعرفين هذه اللغة السويدية ؟ · صحتك (١) ! ·

أنا : (تفرغ كأسها بشربة واحدة كأنها تشرب الوسكى ــ وترتجف شفتاها) ؟ يبدو لى أنى أعرف هذه اللفظة ، نعم اعرفها ·

ستار

---

(١) يستعملان كلمة «سكول !» وهى كلمة سويدية بهذا المعنى ·

الفصل الثاني

منظـــــر

بعد عشرة أيام ، فى الساعه العاشرة ليلا ، يبدو مؤخرة سفينة الشحن « سيمون ونثروب » المثقلة بحملها ، ظاهـرا فى الناحيـة الخارجيـة من مينـاء « بروفنستون » ، فى ولاية « ماساجوستس » يلف السفينة ضباب كثيف وهى تطفو هادئة فى الميناء .

وفى مؤخر السفينة غرفة صغيرة ، فيهـا مصباح مضاء ، وفيها موقد ارتفعت مدخنته بضـع أقـدام فوق سقفها . كان الضوء ينبعث شاحبا من نوافـذ الغرفة ،التى لفها الضباب ،وكانت الاجراس فىالسفن الراسية فى الميناء ، تدق دقاتشجية ، تقطعبها الهدوء فى فترات منتظمة متعاقبة .

وحال يرفع الستار ، ترى أنا جالسة بجواربكرة الحبل الذى علقبهالمصباح .تبدو مكتملةالصحة ،قد تبدلت ، وعاد لون الحياة الي وجهها . وهى ترتدي معطفا أسود ، من المعاطف الجلد التى لا ينفذ فيها الماء انها حاسرة الرأس ، تسرح بصرها فى الضباب ، وقد طغى عليها شعور يمازجه العجب والخوف .

يفتح باب الغرفة على مصراعيه ،فيرى « كريس » بمعطفـه من الجلد الأصفـر ، وقبعتـه ، وبنطلونه ، و « سويتره » ، وحذائه البحـرى الطويل الذى يكسو ساقه .

كريس : (يحدق حائرا ـ وقد عشى بصره الضوء المنبعث من الغرفة) : أنا (لا يجيبه أحد فيصيح ثانية بصوت مرتجف) أنا !

أنّا : (مشيرة بيدها اليه كأنها تريده أن يحافظ على الصمت ، ثم تتمتم اليه هامسة) نعم ، أنا هنا . فما الذى تريده ؟

كريس : (يسعى اليها قلقا) ألا تدخلين يا أنا ؟ قد تأخرت الى ما بعد الأجراس الأربعة ، يبدو لى أن ليس من المناسب أن تظلى خارج الغرفة هنا فى الضباب .

أنّا : ولم لا أظل ؟ أننى أحب هذا الضباب ! أقسم انه ... (تتردد كأنها تبحث عن كلمة) هادىء غريب ... انى أشعر كأنى نفضت يدى من كل شىء .

كريس : (يبصق مشمئزا) أقسم أن الضباب سيىء بألاعيبه القبيحة .

أنّا : (بابتسامة قصيرة) أعدت تتشكى فى حديثك عن البحر أيضا ؟ لقد صرت مغرمة به ، مع أننى لم أر منه الا القليل

كريس : (ينظر اليها مكتئبا) هذه حماقة يا أنا ، لو حسنت معرفتك به لما تحدثت عنه مثل هذا الحديث (يراها تهتاج ، فيسرع فى تغيير لهجته الى لهجة وادعة) ولكننى مسرور أنك أحببته فى سفينة الشحن ، وأنا مسرور أن يعيد اليك صحتك (يتمتم بلطف) أتحبين الحياة هكذا وحيدة مع أبيك الشيخ ؟

أنّا : حقا أحبها . ان كل شىء فيها يختلف عن كل ما سبق لى أن رأيته من قبل . والآن ـ هذا الضباب ـ يا الله ! اننى أتمنى ، أننى لم أكن حرمته ! اننى لم يخطر بخاطرى أن الحياة فى السفن تختلف هذا الاختلاف

الكبير عنها في الأرض . آه ما أحب الى أن أغمر فى البحر أقسم اننى أتمنى أن أعيش فيه لو أننى كنت رجلا . اننى لم أعد أتعجب منك ، أن قضيت عمرك بحارا .

كريس : (بحنق وحدة) اننى لم أكن بحارا يا أنا ، والذى ترينه ليس هو البحر الحقيقى ، انك لا ترين الا الجانب الممتع منه فقط (ثم يراها لا تجيب فيستمر فى كلامه) نعم ، أظن الضباب يرتفع فى الصباح عادة .

أنّا : (وقد عاد الفرح فى لهجتها) اننى أحبه ! وليس هناك ما يعوضنى اذا ما ... (كريس ، يبدل وقفته من قدم الى قدم لشدة قلقه ، وأنا تتوقف عن الحديث لحظة ، ثم تواصل حديثهـــا متمهلة ...) اننى أشعر أننى صرت نظيفة منتعشة ــ هنا فى هذا الضباب ــ حتى كأننى قد فرغت الآن من الاستحمام .

كريس : (بعد أن سكت لحظة) الأولى أن تذهبى الى الغرفة ، فتأخذى فى قراءة كتاب . وسيسلمك هذا الى النوم .

أنّا : لا أريد أن أنام ، أريد أن أظل يقظة هنا ، أفكر فيما أراه .

كريس : (يتركها منصرفا الى الغـــرفة ــ ثم لا يلبث أن يعود اليها) تتصرفين بغرابة هذه الليلة يا أنا .

أنّا : (يرتفع صوتها بغضب) أقول : ما الذى تريد فعله ــ أتريد أن تفسد الأمور ؟ لقد كنت لطيفا معى من قبل كأحسن ما تكون اللطافة وانى أحمد لك هذا ، وأقدره ، وأرجو ألا تفسد الآن كل شىء (ثم ترى الألم يبدو فى وجه أبيها ، فتتكلف الابتسام) دعنا نتحدث الآن عن شىء آخر . اقعد هنا (تشير الى بكرة الحبل) .

كريس : (يجلس بجانبها متحسرا) نحن فى ساعة متأخرة من الليل يا أنا ، ان الأجراس الخمسة توشك أن تدق .

أنّا : (فرحة) الأجراس الخمسة ؟ ـ كم الساعة الآن ؟ .

كريس : انها العاشرة والنصف .

أنّا : غريب أننى لا أعرف شيئا عن لغة البحر ـ ولكن أبناء خالى كانوا أبدا يتحدثون عن الحصاد وما الى هذا ـ يا لله لقد ضقت بهم وبحديثهم .

كريس : أنت لا تحبين الحياة فى المزرعة يا أنا ؟

أنّا : لقد قلت لك ألف مرة اننى كرهتها (ثم بلهجة المصمم الحازم) اننى لا أبدل قطرة واحدة من قطرات البحر بمزارع الدنيا كلها ! وأقسم انك أنت لا تحب المزرعة أيضا . هذا ما تحبه (تشير بيدها صوب البحر) ولكن لا على سفينة شحن مملوءة بالفحم كهذه ، بل على سفينة كالسفن ، تبحر بها متنقلا بين أرجاء الدنيا ! .

كريس : (بكآبة) لقد فعلت هذا مرارا منذ سنوات ، فعلتـه يا أنا حين كنت أحمق ! .

أنّا : (باشمئزاز ونفور) أوه ياالله ـ (تسكت لحظة ، ثم تتحدث ، وهى تفكر) وهل كان رجال عائلتنا ، الى الحد الذى عرفته عنهم ـ ملاحين !؟

كريس : (بكآبة) نعم ! يا للاغبياء ! رجالنا كلهم ، فى قريتنا الساحلية فى السـويد ، كانوا يعملون فى البحـر ! لم يكن لهم شىء آخر يشغلهم عنه ! أبى مات على ظهر سفينة فى المحيط الهنـدى ودفن فى البحر . وأنا لم أعرف ، الا القليل عنه ، وأمى بقيت وحيدة ، ثم ماتت بعـده

بقليل ، وماتت وحدها ! لقد كنا كلنـــا فى رحلة بحرية حين ماتت (يصمت فلا يتحدث ، كأن الحزن يغلبه) وأخواى ! كلاهما ضاع فى قارب صيد ، كما غرق أخواك أنت ، وأخى الآخر ، وفر له بعض النقود ، ونفض يده من البحر ، ثم مات فى بيته على فراشه . انه الوحيد الذى لم يقتله هذا الشيطان الرجيم (ثم متحديا) ولكنى أنا ـ أنا أراهن أننى سأموت على الساحل ، أيضا !

أنّا : وهل كان كل منهم فى رتبة الملاح فقط ؟

كريس : بحارا قديرا ـ هذا ما كان عليه أغلبهم (ثم بفخر ظاهر) كانـــوا كلهم من مهرة الملاحين أيضـــا ـ كان واحد منهم (يتردد لحظة ثم يقول خجلا) أنا ! كنت رئيســـــا للملاحين .

أنّا : رئيسا كنت ؟

كريس : هذا نوع من الرتب .

أنّا : ما أجمل هذا ! وما يعمل هذا ؟

كريس : (بعد أن يتردد ثانية ، تطغى عليه الكآبة لخوفه من حماستها) عملى شاق فى كل وقت . ما أقبح الذهاب كما أخبرتك الى البحر (مصمما أن يجعلهـــا تعاف حياة البحـــر ـ بذلاقة) كانوا كلهم حمقى . كل الرجال فى عائلتنا حمقى قد اشتغلوا بأتفـه الأعمال فى البحر ، وكان همالواحد منهم أن يحصل على أجر يومى كبير يضعه فى جيبه ، ثم يأخذ فى الشراب حتى يسكر ويسرق ، ثم يبحر فى رحلة ثانية ... ويبحر ولا يعود ... انهم لم يقوموا بما ينبغى أن يقوم بهالرجال الخيرون من الأعمال ... وهذا

البحر ، هو العملاق القديم الرجيم ، قد ابتلعهم ـ عاجلا وآجلا ـ كلهم !

انّا : (بضحكة عصبية) أولى بى أن أسميهم : رجال رياضة وألعاب ! (ثم مترددة) ولكن ـ أصغ الى ـ وهل تزوجت نساء العائلة كلهن البحارة ؟

كريس : (بلهفة ـ وقد رأى الفرصة أتيحت لابداء رأيه) نعم ـ وكان هذا أشأم ما يكون عليهن جميعـــا . كن يلتقين بأزواجهن مرة . ثم يمكثن طويلا وحيـــدات ينتظرن أزواجهن ـ وحين يكبر أولادهن يذهبون للعمـل فى البحر ، وحينئذ يقعدن وحيدات أيضا ينتظرن أولادهن (بحدة وعنف) ان فتاة تتزوج بحارا لهى حمقاء مخبولة لو أن أمك كانت موجودة الآن لاخبرتك بالكثير عن هــذا (يعود الى نفسه متأملا ، مفكرا) .

أنّا : (تسكت لحظة ـ ثم تتمتم حالمة) غريب ! أشعر بنوع من الغرابة هذه الليلة ! أشعر بالكبر .

كريس : (بحيرة) الكبر ؟

أنّا : نعم ـ كأنى عشت زمنا طويلا هنا فى الضباب (تقطب متحيرة) اننى لا أدرى كيف أعبر لك عمـا فى نفسى ، فأنا أشعر كأننى عدت الى بيتى بعد سفر طويل ، حتى كأننى كنت هنا من أمد بعيد ـ كنت فى السفن فى مثل هذا الضباب (تضحك ضحكة قصيرة) عليك أن تظن أننى ابتعدت عن أصلى ومنبتى .

كريس : (بعبوس) كل انسان يشعر شعورا غريبا فى الضباب .

أنّا : (فى اصرار والحاح) ولكن لم تظن أننى أشعر على هذا النحو ـ اننى أشعر كأننى عثرت على شىء كنت قد فقدته

وظللت أبحث عنه من عهد بعيد . أشعر أن هذا المكان هو المكان المناسب الذى يجب أن أقر فيه ! ويبدو لى أنى أحس أننى نسيت كل ما حدث لى ــ حتى كأن لم يعد يعنينى من أمره شيء . أحس أنى طاهرة نظيفة ــ على نحو ما تحس به بعد أن تستحم ــ وأشعر أننى سعيدة ــ نعم ، أقسم اننى أحس بسعادة لم يسبق لى أن أحسستها من قبل (كريس يتابع حسراته من غير أن يعلق على كلامها ، وهى تظل مسترسلة) انه غريب منى أن أحس هذا الاحساس ، ألا ترى هذا ؟ .

كريس : (بلهجة العابس المتجهم) أظنى أحمق حين جئت بك الى هنا ، يا أنا .

أنّا : (متأثرة بصوته) أنت تتحـدث ــ بغرابة هذه الليلة ، تتحدث كما لو كنت خائفا أمرا يوشك أن يحدث .

كريس : الله وحده يعرف هذا ، يا أنا !

أنّا : (فى شيء من السخرية) واذن فتلك مشيئة الله ــ كما يقول القس .

كريس : (يقف على قدمه محتجا بعنف) بل هى ارادة البحر ، ذلك الشيطان الرجيم ! وليست مشيئة الله (وتعقب تحديه لحظة صمت ، ثم يسمع استغاثة بصوت خافت أجش ، يبعثها رجل من الضباب الى الميناء) أهوى ! (كريس يصيح صيحة الفزع) .

أنّا : (تقف على قدميها) ما هذا ؟ .

كريس : (وقد استعاد رباطة جأشه ــ خجلا) أقسم أن قد روعنى هذا لحظة ــ انه نداء رجل يستغيث يا أنا ــ لقـد ضل طريقــه فى الضباب ! لابد أن يكون قارب صـيد ، قد تحطمت آلته على ما أظن (ينبعث النداء ثانية من حائط

الضباب ويبدو أقرب كثيرا من سابقه . كريس يمضى الى ناحية الميناء المحصنة) الصوت ينبعث من هذه الجهة .. ينبعث من البحر المفتوح (يضع يديه على فمه كمن يحاول تضخيم الصوت . ويصيح ثانية) أهوى . هنا ! ما الخطر !؟

الصوت : (يسمع الصوت وقد اقترب أكثر من ذى قبل) اتجه نحو مقدم السفينة . ألق الينا الحبل حين نقرب منك (ثم بانفعال) أين أنت يا هذا !

كريس : أسمعهم يجدفون ، قد جاءونا من مقدم السفينة على ما أظن (ثم يصيح ثانية) من هذه الجهة !

الصوت : كما تريد (يسمع صـــوت المجاذيف خافتا فى أماكنها من القارب) .

أنّا : (كأنها تناجي نفسها ــ ممتعضة) لم لا يبقى ذلك الحبل بمكانه الذى يناسبه ؟ .

كريس : (مسرعا) أنا ذاهب الى مقدم السفينة ــ كل يد تستريح وتنام الا يد الملاح فانها تظل أبدا يقظة ــ أنا ذاهب لأمد حبلا الى هذا الملاح (يختطف حزمة من الحبال ويسرع بها الى مقدم السفينة . أنا تسرع الى مؤخر السفينة كأنهـــا تحاول أن تبقى ــ ما وسعها البقاء ــ وحدها تدير ظهرها الى ما يجرى فى مقدم السفينة ، وتعود باعثة بصرها فى الضباب . يسمع الصوت مســتغيثا مرة أخرى ، فيجىء كريس هذه الجهة . ثم تعقبه لحظة هدوء ــ ثم تسمع غمغمة لأصـــوات خافتـــة ، ثم تســمع ضربات الارجـــل . يظهر كريس قادما من ناحية الغرفة الى المرفأ ، وهو يعين رجلا صار على شكل كومة ، بملابس العمل فى البحر ،

وقد لف احدى يدى الرجل حول عنقه ، يتبعه بحار عادى من أهل السويد هو جونسون ، وهو شاب أشقر يرى وهو يعاون رجلا منهوكا كالرجل الأول . أنا تلتفت اليهم) .

كريس : (يقف لحظة ، ثم يصيح بطلاقة) أنا ــ تعــالى عاونى ، ألا تاتين !؟ . تجدين الوسكى فى الغرفة ــ هؤلاء البحارة بحاجة اليه لاقامة أنفسهم ــ هذا يوشك أن يموت .

أنا : (مسرعة اليــــه) نعم ، ســــأفعل ــ ولكن من هؤلاء ؟ . وما خطبهم ؟ .

كريس : بحارة تحطمت سفينتهم ــ وظلوا أربعة أيام فيها . أربعة رجال ، واحــد منهم فقط يستطيع أن يقف . تعالى ، أنا (أنا تتقدمه الى الغرفة ، تدخل وتترك الباب مفتوحا على مصراعيه ، فيدخلهاكريس وجونسون بأحمالهما . ينطبق الباب ، ثم يفتح ثانية فيخرج جونسون ، ويتبعه كريس بصوته صائحا) اذهب وأت بالملاح الآخر يا جونسون .

جونسون : نعم ــ سيدى (يمضى جونسون فيطبق الباب مرة أخرى

ماتبرك يتعثر قرب باب الغرفة المواجه للمرفأ . يتحرك ببطء ،يتلمس طريقه ، فيقبض على الباب بيده اليمنى . ويتعلق به ليقيم نفسه . يرى عاريا الا من بنطلون قذر من هذا النوع الذى يلبسه الملاحون . أنه عريض الصــــدر ، طويل القامة مديدها ، جميل المحيا ، تلوح فى وجهــه الصرامة والجرأة والشجاعة . انه فى عنفوان الشباب ، فى نحو الثلاثين من العمر ، تبدو عضـــلاته بارزة بشكل واضح ينبىء عن قوتها . وعيناه ســـوداوان لاح فيهما الاحمرار والالتهاب من أثر الأرق . وعضـــلاته فى ذراعه وكتفه كأنها كومة من اللحم ، وظهرت أوردة يده واضحة

كأنها الحبال الزرق . لقد وجد طريقة الى حزمة الحبال فى مقدمة السفينة ، فجلس عليها وهو يواجه الغرفة منحنى الظهر ، وقد وضع رأسه فى راحتيه بهيئة تنم عن أنه متعب منهك) .

برك : (يتحدث الى نفسه بصوت عال) جدف ، أيها الرجيم ، جدف (ثم يرفع رأسه ناظرا اليه) ما هذا الدلو . وعلى أية حالة قد نجونا ــ بعون الله (يرسم علامة الصليب من غير أن يفكر ، جونسون يأتى ماشيا على ظهر السفينة يحمل الملاح الرابع الذى يهذى بكلام غير مترابط . برك ناظرا اليه بازدراء) أتراك أضعت قليل العقل الذى كان معك ؟ أيها ال ... (يدخلونه فى الغرفة ويتركون بابها مفتوحا . برك ينحنى وهو متعب) .

لقد استرحت ، استرحت تماما . لقد تعبت . وأنكهت قواى .

أنّا : (تخرج من الغرفة بيدها قدح كبير من الوسكى مملوء الى ربعه . تقفز حين ترى برك بجانبها ، يظهره الضوء المنبعث فى الداخل من باب الغرفة المفتوح بشكل واضح . ثم تغالب شعور النفور الذى طغى عليها لأول وهلة بأن تقترب منه وتقف الى جانبه) أهذا أنت ! هأنذى جئتك بالشراب وأظنك بحاجة اليه .

برك : (رافعا رأسه ببطء ــ متحيرا) أحالم أنا ؟ .

أنّا : (تبتسم) اشربه ، وسترى أنك لست فى حلم .

برك : يا للشراب ! ــ وعلى أى حال سأشربه (يشربه جرعة واحدة) أها ! ما أحوجنى الى هذا ! انه شراب حسن (ينظر اليها باعجاب واضح) اننى لم أعن الشراب حين

قلت : أحالم أنا لقد حسبتك حورية من حوريات البحر جاءت لتعذبنى . (يحاول أن يمس ذراعها ، يتلمسها) آه ! ــ أنت من لحم ودم .

أنّا : (بفتور ــ وهى تتراجع عنه) كف عن هذا الحديث .

برك : ولكن قولى لى : هذه سفينة شحن ؟ هذه التى أنا فيها ، أم هى شىء آخر ؟ .

أنّا : بل هى كذلك !

برك : وما الذى تعمله فتــــاة جميلة مثلك فى سفينة الشحن القذرة هذه .

أنّا : (بفتور) لا عليك من هذا (يبدو الارتياح عليها مع أنها لا تود أن ترى كذلك) أقول انك عظيم ــ لقد أخــذت تسخر بعد الذى كنت فيه .

برك : (مسرورا ــ فى كبرياء) آه ، انه لم يكن بالشىء الهام بالنسبة لرجل شجاع جرىء مثلى (يضحك) كل ما كان من عمــل النهار ، يا عزيزتى (ثم يكون أكثر جدا فى قوله ، ولــكنه ما يزال يتحــدث بلهجــة الفخور الواثق بنفسه) على أننى لا أنكر ، أنها كانت صعقة قصيرة ملعونة وقد كدنا بها أن نغوص جميعا ، مع ديفى جونز ، فى قاع البحر وانى أقول لك . لولا قوتى الــكبيرة لــكنا طعاما للسمك .

أنّا : (بازدراء) يا ــ أنت تكره نفســك ، أليس كذلك ؟ . (تدير نفسها عنه غير مكترثة به) أولى أن تدخل الغرفة وتضطجع . انك بحاجة للنوم .

برك : (كالملسوع ــ يترنح محاولا الوقوف على قدميه ، صدره ممدود الى الأمام ورأســـه مرخى الى الوراء) أتقولين :

اضطجع ونم ؟! . ملعون أنا ان كان غمض لى جفن منذ يومين وليلتين ، وملعون أنا ان كانت فى حاجة الى النوم الآن . لا أريد أن تظنينى مثل هؤلاء الثلاثة الذين جاءوا بالقارب معى . انى لأستطيع أن آتى على ثلاثتهم وأنا قاعد بيد واحدة ، والأخرى مقيدة ، قد شد وثاقها وراء ظهرى . ربما كان هؤلاء قد تعبوا وخارت قواهم ، وولوا ، أما أنا فلا ... ولقد كنت معهم أجذف مطروحا فى القعر ، غيرقادر أن أحرك يدا ، منذ يومين (يتحمس حين يرىقوله هذا ، لا يؤثر فيها) وأقول لك اننى أستطيع أن آتى على كل يد فى هذه السفينة ، واحدة بعد واحدة ، كل هذا ، وأنا على اعيائى الذى أنا عليه الآن .

أنّا : (متهكمة) يا ! ياما أشدك ! (ثم بشىء من العاطفة ، حين تراه يترنح من الاعياء والضعف) ولكن لا عليك من كلام العراك هذا . سآخذ كلامك فى كل ما قلته . هيا ، واجلس هنا على أى حال ، اذا كنت لاتريد أن تدخل الغرفة (يجلس والتعب باد عليه) كانت هذه حالتكم كلكم وأولى بك أن تعترف بهذا .

برك : (بعنف) لا ، لست كما تقولين !

أنّا : (بفتور) حسن ، كن عنيدا اذن فى كل ما تريده ، واذن فسأقول اننى لا أعبأ بأقوالك . ان الرجال الذين عرفتهم ، لا يظهرون هذا الضرب من التعنت حين تكون معهم السيدات .

برك : (يترنح محاولا أن يقيم نفسه ثانية ــ فى غضب) السيدات ! ههو ــ أصلحك الشيطان ! لا تحاولى العبث بى . وما تفعل السيدات فى مثل هذا المركب الملعون !؟

(تحاول أنا أن تذهب الى الغرفة ، فيطرح نفســـه فى طريقها) تمهلى ، الآن ، انك لست بزوجة لهذا الرجل العجوز من اسكندنافية . ولا أسمع منك أيضـــا أنك تعاشرينه خليلة له فى هـــذه الغرفة (يرى الفتور ، والغيظ فى وجهها ، فيسرع فى تبديل لهجته الى لهجة فرحة) ولكننى منذ أن نظرتك أول نظرة رأيتها حماقة منك أن تضيعى نفسك ــ وأنت فتاة جميلة لطيفة ــ فى الحياة مع عجوز قمىء من الرجال ، كهذا السويدى العجوز . وكم فى البحرمن شبان امتشقتقاماتهم يودون أن يبذلوا دم قلوبهم فى سبيل قبلة ينالونها منك .

أنَّا : (بازدراء) شبان مثلك أنت !

برك : (يصك أسنانه) خذى الكلمة منى ــ اننى أنا الشاب الذى يناسبك ، لو أننى قلت هـــذا عن نفسى (يحاول بحركة سريعة أن يلف يديه حول صدرها) ألا تودين الآن أن أكون يا وردتى أنا ذلك الذى معك فى الغرفة !؟ انها قبلة منك هى التى أريدها ، لتزيل ما أشعر به من تعب فى عظامى . ألى أن أقبلك . الآن ! (يجتذبها اليه محاولا تقبيلها) .

أنَّا : (تصـــارعه بشدة) ابعد عنى أيهـــا الأحمق الثقيل ! (تدفعه بكل ما أوتيت من قوة . برك يزاح عنهـــا ، وقد ضعف وتداعى ، يسقط على قفاه فيصطدم رأسه بحصن الباخرة اصطداما عنيفا . يظل مطروحا ، لا حراك به ، هنيهة . تقف أنا لحظة ، تنظر اليه خائفة مروعة ، ثم تركع بجانبه ترفع رأسه الى ركبتيها ، وتحدق فى وجهه باحثة عن أثر للحياة فيه) .

برك : (يتململ ـ متمتما) يا لله ! (يفتح عينيه وينظر اليها بعجب) .

أنتا : (تاركة رأسه مرخى على ظهر السفينة ، واقفة على قدميها تتنهد وقد شعرت بشيء من الراحة) لقد عادت الحياة اليك ـ كنت قبل لحظة خائفة أن أكون قتلتك ! .

برك : (يحاول بصعوبة أن ينهض على قدميه ـ ثم بازدراء) تقولين قتلتني !؟ ان رأسي القـــوي لا تكسره ضربة واحدة (ثم يحدق فيهـــا باعجاب بالغ) ولكن . ليكن النصر لهما ! لذراعيك هاتين الجميلتين الممتلئتين صلابة وقوة ـ ليس في الدنيـــا كلها رجل واحد يستطيع أن يقول انه مثلك رأى ماتبرك ، ميتا عند قدميه .

أنتا : (وكأنها قد شعرت بالندم) انس هذا ! انني آسفة أن يكون هذا قد حدث ـ ألا ترى هذا ؟ . (يقوم برك ويقعد على مقعد ، أنتا تقول بعنف) لست على حق في أن تأخذ حريتك بالحديث معي . استمع الى الآن ! ولا تذهب بك الظنون مذاهبها ، أنا هنا في سفينة الشحن ، لأنني في رحلة عليها مع أبي ، انه عريف السفينة . كن الآن على بينة من هذا .

برك : العجوز من أهل اسكندنافية ، العجوز السويدى ؟! .

أنتا : نعم .

برك : (يقف ـ محدقا في وجهها) كان على أن أعرف هذا ، لولا أنني بفطرتي أبله معتوه والا فمن أين لك هـــذا الشعر الأصفر الجميل ، كأنه التاج الذهبي على رأسك .

أنتا : (تضحك فرحة) أقول : ألك أن تكف عن هذا الحديث ؟ (ثم تحاول أن تجعل صوتها يبدو أكثر صرامة) ولكن ،

ألا ترى أن تعتذر عما حاولت أن تغرينى به ، قولا وفعلا ، قبل دقيقة واحدة . بدلا من أن تعود محاولا أن تضلنى بهذا الهذر ؟ .

برك : (ساخطا) ـ هذر ! (ثم منحنيا بعناية بالغة) حقا ان على أن أطلب عفوك آلاف المرات ـ وأن أطلبه وأنا راكع على ركبتى اذا شئت . لم أقصد الى شيء مما أتيته قولا أو فعلا (ممتعضا) ولكن لعن الشيطان ! انى لم تهزأ بى امرأة فى ميناء من موانىء الدنيا كلها ، على نحو ما فعلت بى أنت هنا .

أنّا : (متهكمة بلطف) . لقد أدركت الآن ! انك تعنى أنك قاتل النســـاء ، وأنهن كلهن يضرعن اليك ويقعن على قدميك .

برك : (بعــاطفة ــ وقد أسيء اليه) كفى عن سخريتك هذه ـ تقولين هذا حين صار زمامى بيدك (بكآبة) انى لم أكذب فيما حدثتك عن النساء (تعلو لهجة الكآبة فى صوته) لو لم أكن بليدا مخبولا لما أخطأت معرفتك ، ولقدرتك ـ حتى فى ساعة الغضب ـ حق قدرك .

ان النسوة اللواتى فى الموانىء كالبقر وانى لم ألتق الا بهذا الصنف منهن منذ أن بلغت مبلغ الرجال (يراها تتراجع عنه فيسرع متوسلا اليها) اننى رجل غليظ ، فظ ، ولا أرانى حقيقـــا أن أقبل نعل حــذاء فتاة لطيفة محترمة مثلك . ان جهلى بادراك لطفك هو الذى صيرنى أراك خطأ على غير ما أنت عليه ، وانى لأرجو أن تصفحى ـ اكراما لله ـ عنى أو أرجو أن نكون من الآن صديقين (بعاطفة)وان رغبتى فى أن أكون صديقا لك ، لا تعدلها

رغبتى فى شىء فى الدنيا (يمد يده الى يدها بخجل).

أنتا : (تنظر بغرابة اليه وهى قلقة حائرة ـ ولكنها تتأثر ـ وتسر بما قال ـ تأخــــذ يده وكأنها لا تشعر بذلك) نعم بالتأكيد .

برك : (بفرح كفرح الأولاد) ـ بارك الله فيك ! (يضغط يدها بشدة من فرحته) .

أنتا : آه !

برك : (يخلى يدها على عجل ـ ثم بكآبة) عفوك أيتها الآنسة ، ما أنا سوى قرد أحمق (ثم ببســــاطة ـ ينظر ذراعه بكبرياء) انها القوة الكبيرة التى فى يدى وذراعى ، وانى أنساها فى بعض الأحيان .

أنتا : (تعالج يدها المرضوضــــة ، وهى تنظر الى يده نظرة لا أثر فيها لماكان يبدو عليه من اعجاب) يا ... فيك شىء من القوة ، لا بأس به .

برك : (مسرورا) ـ لا مراء فى هذا . ولم لا يكون ذلك فى وأنا الذى أطرح ملايين الأطنــــان من حجر الفحم فى مواقد السفن منذ أن كنت صبيا (يشير الى حزمة الحبل فى مقدم السفينة ، كأنه يدعوها للجلوس عليهــــا) هلا تستريحين هنا قليلا ، يا آنسة ، فأحدثك قليلا عن نفسى وتحدثينى قليلا عن نفسك ، فنكون فى ساعة صديقين حتى كأننى نشأت فى البيت الذى نشأت فيه ؟ .

(يجر فضل كمها خجلا) اجلسى الآن ـ أرجوك .

أنتا : (مبتسمة) حسن ـ (تقعد) ولكننى لا أريد أن يكون الحديث عنى . حدثنى عن نفسك ، وعن السفينة كيف تحطمت .

برك : (بشيء من التودد) ـ نعم سـأخبرك . ولكننى أود أن أسألك يا آنسة سؤالا واحـدا : أترين عقلى ما يزال حائرا فى حل لغز ؟ .

أنّا : (باحتراس) نعم ـ أنا لا أدرى ـ ما هى القصة ؟

برك : وما الذى تفعلينه حين لا تكونين فى رحـلة مع الرجل الشيخ ؟ . لأننى أظن أن امرأة جميلة مثلك لا تستطيع أن تقضى الوقت كله فى سفينة الشحن هذه .

أنّا : (مضطربة) لا ـ طبعا لا (تتطلع الى وجهـه خلسة ، خشية أن يكون قد عرض بعض التعريض بها فى ألفاظه ، وحين ترى الصراحة بادية فى وجهـه ، تمضى بثقة فى حديثها) حسن أقول لكانى مربية أولاد . أرعى الأطفال للناس ، وأعلمهم أشياء ...

برك : (مأخوذا بقولها) مربية أطفال أنت ! . يجب أن تكونى ذكية حقا .

أنّا : ولكن عليك ألا تتحدث عنى ، حدثنى عن السفينة كيف تحطمت ، كما وعدت .

برك : (بشيء من التعاظم) كان الأمر على هذا النحو يا آنسة : منذ أسبوعين كنا فى عاصفة شيطانية عاتية ، أحدثت خرقا مدمرا فىمقدمة السفينة . وكان ربان السفينة يأمل أن يبلغ « بوستن » قبل أن نصاب بضربة أخرى يكون فيها القضاء علينا . ولكننا قبلعشرة أيام . أصبنا بعاصفة عاتية أخرى ، كانت كالأولى ، بل أشد منها ، بقينا فيها أربعة أيام فى البحار الخضر ، وقد كسرنا ظهورنا عاكفين على السفينة من مقدمها الى مؤخرها . كان وقتا عصيبا مريعا أعاننا الله عليه (بفخر وكبرياء) ولولاى ، ولولا

فوتى الكبيرة التى حدثتك ـ أقسم بالله صادقا ـ عنها لتمرد الملاحون فى موقد الباخرة نفسه .

لقد كنت أنا الذى ثناهم عن عصيانهم ، كنت أرفس عدا رفسة ثم أضرب ذاك . انهم لم يكترثوا للمهندسين أى اكتراث . ولكن كانوا يخافون الضربة من يدى اليمنى أكثر من خوفهم من البحر نفسه ! (يحدق فيها آملا أن يرى أثر الاعجاب فى وجهها) .

أنا : (تخفى ابتسامة ـ وهى مسرورة بلهجة تباهيه الصبيانية) لقد قمت بعمل جبار ـ أليس كذلك ؟ .

برك : (مسرعا بحزم) لقد قمت بذاك . وانى شيطان فى أن أقاوم ـ حين يعجز الضعفاء ويرون ألا حيلة لهم فى الأمر ـ لقد كان فيه الخير على كل حال . كان الصراع جنونيا فى اللحظات الأخيرة . فكان كل رجل يصارع فيه لينقذ نفسه وحدها ـ وانى لا أكاد أتذكر كيف انتهى ـ وكل ما أعرفه أننا كنا أربعة رجال فى زورق واحد . رفعته عاليا موجة كبيرة ، فنظرت حولى ! فخيل الى أننى لا أرى سفينة ولا رجالا فوق سطح البحر .

أنا : (بصوت خافت) وهل غرق الآخرون كلهم ؟!

برك : نعم غرقوا ـ ما فى ذلك شك .

أنا : (مرتجفة) أى نهاية محزنة هذه !

برك : (ملتفتا اليها) ربما كانت نهاية محزنة لأولئك الذين يعيشون على الأرض ـ أما أولئك الذين يجوبون البحار أمثالنا ، فيرونها نهاية حسنة ـ أقول لك : انها سريعة نظيفة .

أنثا : (مأخوذة باللفظة) نعم ، نظيفة ــ هذه هى اللفظة المناسبة . وهذا هو ما أشعر به .

برك : أعنيت البحر ؟ .. (بفرح) يبدو لى أنك فطرت على حبه . ان حبه فى دمك . وان أباك الشيخ لم يمض حياته جرذا فى سفينة الشحن ــ أرجو عفوك ــ بل كان ...

أنثا : لا ، كان عريفا فى السفن البحرية سنين . وهو يقول ان رجال عائلته كلهم ، عائلة أمه وعائلة أبيه ، عملوا فى البحر . وان نساء العائلة كلهن تزوجن بحارة أيضا .

برك : (بمنتهى الرضا) ذلك ما فعلنه ! انها لجرأة منهن وانك لا ترين الا فى البحر رجالا ذوى جرأة وشجاعة ، يصلحون للزواج من فتيات جميلات عاليات السجايا (تم يضيف مترددا بشىء من الجرأة) أمثالك .

أنثا : (ضاحكة) وعدت الى ديدنك أيضا ؟ (ثم ترى تأثره وانفعاله فتسرع) ولكنك كنت على أن تحدثنى عن نفسك انت ايرلندى طبعا ، أنا أعرف هذا .

برك : (بشجاعة) نعم ، وأنا أشكر الله ، اننى لم أر منظرا من مناظر ايرلندة منذ خمسة عشر عاما .

أنثا : (متفكرة) ان الملاحين قل أن يذهبوا الى بيوتهم . أليس كذلك . وهذا ما كان يقوله لى أبى .

برك : ان أباك لم يكن كاذبا فيما قال (ثم بنفس منقبضة) ان حياة البحر موحشةقاسية ــ وان النسوة اللواتى نلقاهن فى موانىء الدنيا ، هن أولئك النسوة اللواتى يردن أن يلقيننا بكلمات معسولة ــ انهن لسن بالنساء ــ لعلك أدركت أى صنف منهن عنيت بقولى ، انهن مسكينات

شريرات غفر الله لهن ! انهن لا يبحثن الا عن اختــلاس النقود من الرجال .

أنّا : (تدير وجهها عنه ، وقد وقفت على قدميها ـ مضطربة) أظن أن الأولى أن أرى ما سأعمله فى الغرفة .

برك : (يخشى أن يكون قد أزعجها ـ متوسلا) أقول : لا تذهبى ! أرأيتنى قد أســـأت اليك فى حديثى عنهن ؟ أرجو ألا تكترثى له أبدا .اننى لا أجيد صناعة الحديث، حين يكون الحديث لائقا بمثلك . ولم لا أكون كذلك ؟ وهذه هى المرة الأولى التى أتحـــدث فيها الى فتاة محترمة مثلك منذ أن غادرت بيتى لأعمل فى البحر ، وفى الفحم ... ؟ ولذا أرجو ألا تصرفى وجهك عنى ، وقد أوشكنا أن نكون صديقين .

أنّا : (ملتفتة اليه ثانية ـ وهى تتكلف الابتسام) أقسم اننى لم يغظنى حديثك .

برك : (ممتنا) بارك الله فيك !

أنّا : (تقلب موضوع الحديث فجأة) ولكنك اذا كنت حقا ترى حياة البحر على هذا النحو الذى تعافه النفس ، لم لا تتخلص منه ؟ .

برك : (باستغراب) أشـــتغل على الأرض ـ أليس كذلك ؟ـ (تشير برأسها اشارة المؤمن على كلامه ـ يبصق بازدراء) أحفر بمعولى الســـماد ، أزرع البطــاطة من الفجر الى الغروب ! . (بشدة) لا ، هذا ما لم أخلق له ، يا آنسة .

أنّا : (ضاحكة) كنت عارفة أنك ستقول هذا .

برك : (وكأنه يحـــاول أن يبعث الجدل) ولــكن ، فى البحر أشغال جيدة ، وأشغال رديئة . كما أن فى الأرض أشغالا

رديئة . وأنا أرى أن لو عملت فى موقد النار فى باخرة تبحر فى أوقات منتظمة معينة ، واستطعت أن أحصل على بيت صغير ، آوى اليه ، وأقيم فيه أسبوعا من كل أربعة أسابيع أقضيها فى البحر ، حينئذ ، ربما ساعدنى الحظ فى أن أجد فتاة ، جميلة محترمة ــ مثلك أنت ــ ترغب أن أكون لها زوجا .

أنّا : (تدير وجهها عنه ضاحكة ضحكة قصيرة ــ باضطراب) نعم ، حقا ، ولم لا ؟ .

برك : (مقتربا كل الاقتراب منها ــ بفرح) واذن أتظنين أن فتاة مثلك ، يمكن ألا تلتفت الى الماضى ، وأن ترى الخير فى أن تكون معى ؟

أنّا : (فى اللهجة نفسها) ولم لا ؟ . حقا .

برك : (بعاطفة) أقسم انها لا تكون آسفة اذن ، لأنى لا أعود متسكعا باحثا عن الشراب ، بل واضعا أجر يومى فى يدها ، مقيما معهــا فى بيتى ، وادعا وداعة الحمل ، فى كل ليلة من ليالى الأسبوع أقضيها فى الميناء .

أنّا : (تتحرك ــ بغير ارادتها ــ متأثرة بهــذا الاقتراح غير الواضح ــ متكلفة الضــحك) كل ما بقى عليك هو أن تبحث عن الفتاة .

برك : لقد وجدتها .

أنّا : (فى شبه حيرة وقلق ــ تحاول أن تضحك) وجدتها ! . متى !؟ أظن أنك كنت تقول ...

برك : (فى جرأة وحماســـة) هـــذه الليلة (رافعا رأسه باستعطاف) اذا رضيت (ثم رافعا عينيه الى عينيها ــ ببساطة) انها أنت التى عنيت .

انّا : (يوقفها بنظرة اليها لحظة ثم تجفل متراجعة عنه الى الخلف بضحكة غريبة متكسرة) قل لى ـ أتراك صرت مخبولا ؟ . أتراك تحاول خداعي وتضليلى ، فتتقنزح على ـ يا لله ! ـ مثل هذا الاقتراح فى مثل هذه المعرفة القصيرة ! . (كريس يخرج من الغرفة ، يختلس النظر الى مقـــدم السفينة ، وحين يرى أنا تدنو هذا الدنو من هذا الملاح الغريب ، تغشى وجهه غاشية الغضب) .

برك : (يتبعها ـ متوسلا ، ملحا) أقول لك انها مشيئة الله ! تلك التى جاءت بى سالما فى العاصفة والضباب الى هذه البقعة الوحيدة فى الدنيا ، الى حيث أنت . فكرى فى هذا الآن ، وليس غريبا .. .

كريس : أنا ! (يتقدم اليهما غاضبا ، يضم قبضتيه) أنا ، تعالى الى الغرفة ـ أما تسمعين !؟ .

أنا : (تتحول عواطفها فى الحال الى امتعـاض واستياء من صوته الفظ الغليظ) من الذى تظن نفسك تخاطبها ـ عبدة !؟ .

كريس : (متأثرا ـ يخفض صوته ، وهو يتوسل) أنت بحاجة الى الراحة يا أنا . عليك أن تنامى (لا تتحرك لكلامه) ، (يلتفت الى برك فى عنف وغضب) وما الذى تفعله أنت أيها الملاح هنا !؟ ألست مريضا كالآخرين . اذهب الى أعلى السفينة ، فقد أعطوك مكانا تنام فيه (مهددا) أقول لك : عليك أن تسرع .

أنا : (بغير أن تفكر) ولكنه مريض ، أنظر اليه ، انه لا يكاد يستطيع أن يقف .

برك : (يعدل قامته ـ ويمد صـدره الى الأمام ـ ثم بضحكة

جريئة وقحة) أراك تصدر أمرك الى . أليس كذلك أيها الشيخ . اسمعنى اذن ــ اننى أستطيع بيد واحدة ، وأنا على ما أنا عليه من ضعف ، أن أشطرك شطرين أطرح كل واحد منهما فى ناحية ــ ثم أطرح بحارتك وراءك (يسكت فجأة) لقد نسيت نفسى ــ انك أبوها الشيخ ! ما أنا برافع قبضتى اليك ولو أعطيت الدنيا كلها بذلك (ترتخى ركبتاه ، فيترنح ويوشك أن يسقط ــ تصيح أنا صيحة المحذر المنبه وهى تسرع الى جانبه) .

أنّا : (تضع احدى يديه فوق كتفها) هيا بنا الى الغرفة ، ولك أن ترقد فى فراشى اذا لم نجد غيره .

برك : (يطفح البشر فى وجهه ــ وهما يتقدمان الى الغرفة) تبارك الله ! .

أأنت التى تضعين ذراعى حـــول عنقك ! يا أنا ! أنا ! حقا انه اسم جميل ، وانه مناسب لك .

أنّا : (تقوده بعناية) اش اش .

برك : اش تقولين ؟ . نعم ، ولكن لا ، سأزعق زعقة البوق فى البحر ينذر السفن فى الضباب . انت فتـــاة الدنيا ، وسنتزوج فى الحال ، ويعرف ذلك من يشاء أن يعرفه

أنّا : (وهى تقوده تجتـــاز به باب الغرفة) اش ــ لا تعبـأ بما قيل . عليك أن تنـام (يدخلان الغرفة ولا يريان . يظل كريس واقفا ــ بعد أن سمع ألفاظ برك الأخيرة ، فاتحا فاه مشدوها ، يتبعهما بنظره وهو يائس) .

كريس : (يلتفت فجأة الى البحر ، وهو يشد قبضته ، ثم يخاطبه بكره مريع) هذه هى حيلتك القـذرة ، أيها الشيطان الهرم الرجيم ! (ثم فى سورة من الغضب) ولكنك ــ والله لن تفعله ! لن تفعله ما دمت حيا ــ لا والله لن تفعله !

منظر ســتار

الفصل الثالث

منظـــر

يرى داخل الغرفة التى فىسفينة الشحن «سيمون ونثروب » فى مرفأ السفن فى مدينة « بوستن » ـ وهى غرفة ضيقة ، واطئة السقف ، صبغت جدرانها بلون جوزى مزركش بحــواش بيض . وفى مؤخــرها منناحية اليسار باب يقود الىمخدعالنوم .وفىالزاوية اليسرى ، خزانة كبيرة ذات قفل ، بابها أبيض اللون ، علقت فيه مرآة بمســمار . وفى الجــدار الخلفى ؛ شباكان صغيران مربعان ، وباب يمكن ان يفتح الى ظهر السفينة ، نحو جهتها الخلفية . وفى الحائط على الجهة اليمنى ، شباكان آخران يطلانعلى ظهر السفينة من ناحية الميناء ، وعلى الشــبابيك ســتائر بيض ، نظيفة منشاة . وفى وسط الغرفة منضدة ، حولها كرسيان من الخيزران ، وبجوارها كرسى متــأرجح مصنوع من الصفصاف ، مصبوغ بلون بنى .

فى عصر يوم مشمس ، بعد أسبوع من الفصــل السابق ، ترى فى الميناء باخرة ، تبعث الصفير خافتا من صفاراتها البخارية ، ومحركاتها تنفث الدخان ، وهى تفرغ حمولتها ، غير بعيد من الغرفة .

وحال يرفع الستار ، يرى كريس وأنا . ترى أنا جالسة على الكرسى المتأرجح بجوار النضد ، وبيدها جريدة ، لا تقرؤها ـ ولكنها تسرح بصرها ، ناظرة الى الأمام . انها مهمومة مضطربة قــد نكست راســها

مطرقه ، مهمكة فيما يدور برأسها من خواطر .ويرى كريس يتمشى فى الغرفة ، وهو يسرع فى اختلاس النظرات الى وجهها المتعب ، ثم يقف ذاهلا يطل من الشباك الى الخارج . ان حالته تنم عن قلق شامل، تركه على أحر من الجمر . يظهر متشاغلا بترتيب أشيائه . انه يقبض على الشىء فيضعه فى مكانه ، ثم ما يلبث أن يحدق فيه ببلادة وذهول ، وأن يعيده ـ لغير ما غاية ـ الى مكانه السابق . يتنحنح ، ويأخذ فى الغناء بصوت خافت حزين ،يغني أغنيتهالمعهودة .

« جوزفين ، يا حبيبتى ! هيا الى السفينة ـ لقد طال انتظارى اليك ! » .

أنّا : (تلتفت اليه ـ متهكمة) أنا مسرورة أن أرى بعض الناس يبدو سعيدا (بتعب وسأم) يا لله ! كنت أتمنى لو تخلصنا من هذا المكان المزعج وعدنا الى نيويورك .

كريس : (ضاحكا) وسأكون سعيدا حين نبحر ثانية أيضا . (وحين يراها لا تعلق على كلامه ، يحاول بسماجة أن يتهكم) أنا لا أدرى لم لا تحبين بوستن ؟ انى أحسبك قضيت وقتا جميلا هنا ،فأنت تذهبين دائما الىالميناء خارج السفينة . تذهبين كل يوم وكل ليلة من ليالى الأسبوع ، منذ أن صرت هنا ! تذهبين الى المسارح ، والى دور السينما وتتفرجين على كل ضروب التسلية ! (تقدح عيناه بالغضب) كل هذا مع ذاك الايرلندى اللعين .

أنّا : (بضجر وازدراء) يا للسماء ! وهل عدت كدأبك فى هذا أيضا !؟ . وأى ضررفى أن يصحبنى معه الى ما حولنا على الشاطىء !؟ أتريد أن أظل قاعدة فى هذه الغرفة ليل نهار معك ـ وأنا أحوك ! ؟ ألا ترى أن من حقى أن أحاول أن أسعد بأوقاتى بقدر ما أستطيع !

كريس : لست على حق فى هذا الضرب من التسلية ـ ولا بصحبة هذا الشخص ... لا .

أنّا : ألم أعد الى السفينة كل ليلة حتى الحادية عشرة !؟ (تخطر ببالها بعض الخواطر ـ فتنظر اليـــه كأنها تتهمه ـ ثم تصيح بغضب متزايد) ولكن ، اسمع ! قل لى ما الذى قصدته بقولك هذا الذي قلته الآن ؟ .

كريس : (يجيب مسرعا) لا شيء الا ما قلته يا أنا .

أنّا : قلت : لست على حق ، وقلتها بلهجة غريبة . أقول : اصغ الى انك لا تعنى أن تدس فى قولك ان شيئا ممـــا لا يحسن كان بيننا . أليس كذلك ؟

كريس : (مرتعبا) لا . يا أنا ! أحلف بالله لا . وانى لم يخطر هذا بخاطرى أبدا .

أنّا : (تهدأ حدتها ، اذ رأته ظاهر الصدق ـ تعود جالسة) وليس لك أبدا أن تفكر فى هـــــذا ، حتى ولو شئت ألا أكلمك أبدا (يعـاودها الغضب) ولئن خطر لى ، أو توهمت ، انك فكرت فى هذا ، لأخلقن الجحيم فى هذه السفينة ، ولأتركنهــا بسرعة لا تستطيع معها رؤيتى أو اللحاق بى .

كريس : (مهدئا) هــذا مالا يخطر بخاطرى أبدا ـ (وبعد أن يتوقف لحظة يعود معنفــــا) . لقد تعلمت أن تحلفى . أترين هذا يليق بفتاة ؟ .

أنّا : (مبتسمة ابتسامة هادئة) عفوك ! أنا أدرى أنك لم تعتد

هذه اللغة (متهكمة) ولكنها حياة البحر التى حملتنى اليها هى التى علمتنى هذا .

كريس : (بسخط) لا لست أنا ، انه ذلك الملاح اللعين هو الذى علمك هذا اللسان البذىء .

أنّا : انه وقاد ، لا ملاح .

كريس : (بشدة)وهذا أسوأ مليون مرة ،أقول لك :ان الأشخاص الذين يشتغلون فى قعر السفن ، يطرحون الفحم للوقود لهم أقذر من فى العالم ، وأكثر من فيه خشونة وشراسة .

أنّا : أنا أكره أن أسمعك تقول هذا « لمات » .

كريس : أوه ، لقد قلت له هذا ، وليس لك أن تظنى أنى أخافه ، لا لشىء ، الا لأنه أقوى منى (مهددا) انك غير مضطرة الى أن تأخذى فى عراك هؤلاء الناس بالأيدى ، هناك طرق أخرى توقفه عند حده .

أنّا : (تنظر اليه على عجل محذرة) ما الذى تعنيه !؟

كريس : (بغضب) لا شىء .

أنّا : أولى بك ألا تفعل ! لو كنت فى مكانك لما أثرت نزاعا معه ، اذ ربما نسى مرة أنك شـيخ كبير ، وأنك أبى ـ وحينئذ لا ترى الحظ حليفك .

كريس : (بكره مكبوت) حسن ، واذن دعيـه . قد أكون شيخا كبيرا ولكننى مع هذا سأعلمه درسا أو درسين .

أنّا : (مغيرة لهجتها فى الحال ـ محاولة اقناعه) تعال أو كن خيرا . ما هذا الذى يأكل نفسك . ألا تريد أن يكون أحد معى لطيفا غيرك !؟

كريس : (يتلطف اليها ، وهو يقترب منها ـ ثم يقول بلهفة)

نعم ، أريد ، يا أنا ـ ولكنى لا أريد أن يكون من هؤلاء الذين يعملون فى البحر وانى أحب أن تتزوجى شخصا يعتمد عليه وله عمل محترم على الأرض ... ان لك منزلا فى الريف ، هو ملكك وحدك .

أنّا : (واقفة على قدميها بجفوة) أوه . كف عن هذا (باحتقار) بيت صغير فى الريف ! وددت لو استطعت أن ترى البيت الصغير فى الريف ، حيث تركتنى سجينة فيه حتى بلغت السادسة عشرة . (ثم بانفعال عنيف) يوما ما ستصيرنى مجنونة بأحاديثك هذه ، وسأرفع الاحتشام عنك ، فأحدثك أحاديث تتفتح لها عيناك .

كريس : (محذرا) أنا لا أريد .

أنّا : أنا أدرى أنك لا تريد ... ولكنك لا تكف عن هذا الحديث نفسه .

كريس : واذن فسوف لا أعود للكلام ... يا أنا .

أنّا : واذن فعدنى أنك ستكف عن أن تقول ما يسىء الى ماتبرك ، كلما وجدت سبيلا الى ذلك .

كريس : (مراوغا ، شاكا) ولم ؟ أأنت تحبين ذلك الشخص ـ كثيرا جدا يا أنا ؟

أنّا : نعم ، أحبه .. أحبه ، انه انسان سوى ، ولا أهمية لما له من أخطاء فى الماضى ، وعندى أن اصبعا واحدة من أصابعه لتعادل كل المئات من الرجال الذين التقيت بهم هناك ـ فى اليابسة .

كريس : (تكسو وجهه سحابة من الغم) ربما ! تظنين أنك تحبينه اذن ؟ .

أنتّا : (متحدية) وما في هذا لو فعلته ؟ .

كريس : (يتجهم ، ويقهر نفسه على الكلام) ربما ـ ظننت أنك ـ تتزوجينه .

أنتّا : (هازة رأسها) لا ! (كريس يتهلل وجهـه منتعشا ـ تستمر في حديثهـا ـ متمهلة ـ وقد اصطبغت نغمتها بصبغة حزينة) لو أننى قابلته قبل أربع سنوات بل وحتى قبل سنتين ، اذا لرقصت لحظى آنذاك ، هـذا ما أقوله لك بصراحة واستقامة . وبودى الآن لو أنه ـ ما هو الآن الا غر ! انه طفل كبير ، وان قلبى لا يطاوعنى على تضليله واغرائه (تنقطع عن الكلام فجأة) ولكن عليك ألا تقول أبدا انه لا يصلح لى ، بل اننى أنا التى لا تصلح له ! .

كريس : (يشخر مظهرا احتقاره) أقسم .. انك جننت !

أنتّا : (بضحكة حزينة) حسن ، لقد كنت أنا نفسى أفكر فى هذا فى الأيام القليلة الأخيرة (تتناول قطعة قماش من الشال معلقة قرب الباب وترميها فوق أكتافها) أرى أن أتمشى الى نهاية الميناء ، وأرى ما يجرى هناك ، يعجبنى أن أرقب السفن وهى تمر ، أحسب أن « مات » سيكون هنا بعد قليل . أترى أن تخبره بمكانى ؟ .

كريس : (بيأس) حسن . سأخبره (تخرج أنا من الباب الخلفى كريس يتبعها ، ويقف لحظة على ظهر الباخرة يتبعها بنظره ، ثم يعود الى الغرفة ويسد بابها عليه ، يقف مطلا من الشباك الى الخارج متمتما : « أيها الشيطان الهرم القذر » ثم يتجه الى النضد ، يعدل غطاءه بصورة آلية ، يأخذ الجريدة التى تركتها أنا على الأرض ، ويقعد على

الكرسى المتأرجح ، ينظر فى الجريدة لحظة ثم يضعها فوق النضد ، يقبض على رأسه بيديه ويرسل آهة حزينة يسمع وقع خطا ثقيلة لرجل يجىء من ظهر الباخرة ، ثم يسمع طرقا عاليا على الباب . كريس يتهيأ ويتحرك كأنه يريد أن يقوم ويذهب الى الباب ـ ثم يبدو له أن الأوفق أن يظل فى مكانه ، فيظل ساكنا حيث هو ـ يتكرر الطرق ـ واذ لا يجاب ، يفتح الباب على مصراعيه، ويرى ماتبرك داخلا .

كريس يقطب فى وجه الداخل المتطفل ، وتمتد يده ـ من غير أن يفكر ـ الى الخلف ، الى كفله الى حيث السكين الموضوعة فى غمدها هناك . يظهر برك بلباسه ، بدلة زرقاء رخيصة ، وقميص قطنى مخطط ، ورباط أسود فى العنق ، وحذاء أسود قد لمع منذ برهة ـ ويبدو وجهه مشرقا بروح مرحة طيبة) .

برك : (حال يرى كريس ـ بلهجة مرحة ممزوجة بالتهكم) حسن ، بارك الله أولئك الذين ها هنا (ينحنى ، ويضغط جسمه الضخم فى مدخل الباب الضيق) وكيف أنت والدنيا مساء هذا اليوم ، يا أبا أنا ؟ .

كريس : (بتجهم) لا بأس بى ـ لولا وجود بعض الناس .

برك : (بعبوس) ـ تعنينى أنا ـ أليس كذلك . (يضحك). نعم ، لولا أنك حطام مضحك لانسان ... ! (ثم برزانة) وأين هى ؟ (يجلس كريس صامتا عابسا ، وعيناه حائرتان تدوران . برك متأثر بصمته وسكونه) وأين أنا ؟ ! اننى ما زلت أسألك عنها .

كريس : (مترددا ـ ثم بلهجة المتضايق) قد انحدرت الى نهاية المرفأ .

برك : سأذهب منحدرا اليها اذن . ولكن أرى ما دمنا منفردين ، أن أنتهز الفرصة ، فأقول لك كلمة (يجلس على النضد مقابلا لكريس ، منحنيا نحوه) وهذه الكلمة ... هى أننى سأتزوج ابنتك أنا ، قبل أن ينقضى هذا النهار ، وربما كونت رأيك ورأيت ما اذا كنت ترغب أم لا ترغب .

كريس : (ناظرا اليه بكره ـ وقد أرغم نفسه أن يضحك ضحكة ازدراء واستخفاف) ههو ـ ما أسهل أن يقال هذا !

برك : تعنى أننى لا أستطيعه ؟ (باحتقـار) أتظن أن مثلك يستطيع أن يوقفنى دونه !؟ .

كريس : نعم ، سأوقفك ، ولو أدى بى ذلك الى مالا يحمد .

برك : (بلهجة الراحم المحتقر) أعانك الله على هذا ! .

كريس : ولكن لا حاجة لى الى هذا ـ انها أنا ...

برك : (يبتسم ابتسامة الوائق) أتظن أنها أنا هى التى نوقفنى عن هذا ؟ .

كريس : نعم .

برك : وأنا أقول لك انها لن تفعل ذلك . انها تدرى أننى أحبها . وهى تحبنى أيضا ، وأنا أدرى بهذا .

كريس : ههو ـ انها تلعب وكل ما فى الأمر أنها تهزأ بك .

برك : (غير متأثر ـ مسرورا) هذه كذبة فى حلقك ، أصلحك الشيطان ! .

كريس : لا ليست بكذبة ـ انها أخبرتنى قبل خروجها مباشرة ، بأنها لن تتزوج انسانا مثلك .

برك : لن أصدق هذا ، انك كذاب كبير وانك شيطان تختلق وسيلة للايقاع بيننا لو قدر لك ، ولكن ليس هـــذا

ما أبحث عنه ، وهأنذا جالس هنا (برزانة) دعنا نتحدث في هذا حـــديث الرجل الى الرجل . انك أبوها ، ومن العار علينا معا أن يأخذ كل منا بخناق صاحبه ، وينكب عليه ، يعضه ، فعل الكلب بالكلب ، ثم أتزوج أنا بعد ذلك . لنعترف بالحقيقة وهى أنهما زال هناك من يتصرف تصرف الانسان . قل لى : ما الذى تأخذه على ؟ .

كريس : (يهدأ بعض الشيء رغما عنه ــ بما ظهر من لهجة الاخلاص فى قول برك ــ ثم بلهجة الشاك المتحير) نعم ، أنا لا أريد أن تتزوج أنا ــ استمع الى أيها الرجل ، أنا رجل عجوز ، ولم أرها منذ خمسة عشر عاما ، وهى كل ما أملك فى هذا العالم ــ والآن وقد جاءتنى فى ســـــفرتها الأولى ، أتظننى أريدها أن تتركنى وحدى ثانية ؟! .

برك : (بعاطفة وشفقة) عساك لا تظن أنى انسان لا قلب له ، ولا أشاركك الشعور فيما تحس به .

كريس : (متعجبا ، متشجعا بما سمع ــ محـــاولا أن يزيد فى حجته) واذا فستحسن صنعا ، أليس كذلك ؟ . تعود فتبحر ثانية ، وتترك أنا وحدها (مداهنا) ان امرأ له مثل منزلتك فى البحر ، لا حاجة به الى زوجة . انه يجد امرأة جديدة فى كل ميناء ، وأنت تعرف هذا .

برك : (يغضب لحظة) قاتلك الله ! (يسيطر على نفســــــه ثانية ــ ثم بهـــدوء) لا أريد أن أسمح لك بالكذب فى هذا ولكن تولاك الشيطان ! تمر بكل انسان فى البحر أو فى البر ــ وليس مجنونا ــ فترة ، تعاف نفســه النساء هؤلاء الأبقار ، ثم يخرج ليلقى بقلبه فتاة جميلة محترمة يتزوجها ،ويكون له مأوى يسميه بيته ويربى فيه أطفاله

انه سبب ضعيف ذلك الذى تدعونى لأن اتركك انا من أجله . انها المرأة الوحيدة التى تصلح لى فى هذه الدنيا ؛ ويبدو لى أننى لا أستطيع أن أعيش الآن بدونها .

كريس : أراهن أنك ستنسى كل شيء عنها فى بحر أسبوع تغادر فيه الميناء .

برك : انك لا تعرف لى شبيها فيما أنا فيه . ان الموت نفسه لا يستطيع أن ينسينى اياها ، ولذا فالأجدر بك ألا تحدثنى فى تركها . لن أتركها . وليس الأمر من السوء بالقدر الذى تصورته . انها ستتزوجنى . وسنعيش هنا فى الولايات المتحدة ، وسيتاح لك أن تراها دائما . بل انك لتستطيع أن تراها أكثر مما كنت تفعل فى الخمس عشرة السنة الماضية ، حين ربيت فى الغرب . ومن العجب أن تكون أنت الذى تقيم الصعوبات ، خشية أن تتركك وحدك على حين أنك لم تحاول أن تراها ولو مرة واحدة طيلة تلك السنوات الطويلة .

كريس : (متهما) بدا لى أن خيرا لأنا أن تربى بعيدة عنى ، تربى وتترعرع على الأرض ، ولا تعرف شيئا عن البحر ، ذلك الشيطان الهرم الرجيم ! .

برك : (باحتقار) أتراك تلوم البحر أيضا لمتاعبك أنت !؟ . كان الله فى عونك . حسن ، لقد عرفته أنا الآن ، وقد أحببته — على أى حال — بفطرتها أو بدمها .

كريس : ولا أريد لها أن تعرف انسانا يعمل فى البحر .

برك : لقد عرفت واحدا الآن .

كريس : (يضرب النضد بقبضته — ثم بعنف وهياج) وهذا هو

الذى لا أريده ــ وهذه هى حالتك أنت غير الحسنة ــ بحار اتظننى أرضى أن تكون حياتها تعسة بسببك أنت كما كانت حياة أمها تعسة بسببى أنا ؟ . لا .. وأنا أقسم على هذا ــ وانها لن تتزوجك ، والا قتلتك قبل الزواج .

برك : (ينظر اليه لحظة فى حيرة وعجب ــ ثم يضحك مقهقها) ههو ــ تبارك الله ! ــ حديث جرىء يصدر عن قزم صغير من الرجال ! .

كريس : (مهددا) نعم ــ سوف ترى ! .

برك : (بتحد ظاهر) نعم ، حقــا سأرى . سأرى أننى تزوجت أنا اليوم . أقول لك : (باحتقار عنيف) انك تحمل آراء غريبة عن البحر ، فتقول البحر فعل هذا ، والبحر فعل ذاك وكان عليك أن تخجل أن تقول مثل هــذا ، وأنت نفســـك بحار قديم ، وانى طالما ســمعت منك الكثير عنه ، وسمعت أكثر من هذا مما قالته أنا انها سمعته منك . ويبدو لى من هــذا أنك انسان ضعيف مسكين ، وانك لست بالرجل ! .

كريس : (مكتئبا) سترى ما اذا كنت أنا الرجل كل الرجل ــ وما اذا كنت أسرع وأخف مما تظن .

برك : (باحتقــار) يا .. لا تتبـــاه . يبدو لى أن رعب البحر قد أخذ عليك عقلك ، حتى انك لترغب أن تتزوج أنا فلاحا ، على ما قالت لى هى ــ انه زواج لطيف أن ترى فتاة جميلة مثل أنا تنام ليلتها مع رجل ملطخ بالطين ، تنبعث منه رائحة خبيثة : رائحة السماد ورائحة الخنازير أو تراها مرتبطة حياتها كلها بأحد أولئك الذين هزلت أجسامهم وتقبضت وهم يعملون فى المدن .

كريس : هذه كذبة ـ أيها الأحمق !

برك : هذه ليست كذبة ، وانما هى آراؤك الخطلة التى أعيدها عليك وأنك فى قرارة نفسك لتعرف الحقيقة ، وأن كان خوفك الشـــديد من البحر قد صير منك جبانا كذابا (يضرب النضد) ان البحر وحـده هو الحياة للرجل تملؤه الحيوية والجرأة ، وهو ليس كذلك للرجل يخاف من ظله . ان الرجل الحق لا يكون حرا الا فى البحر . انه يجوب وجه الدنيـا يتفرج على ما فيها من أشيـــاء ، ثم لا يحاول أن يؤخر فلســـا يضـــيفه الى نقود يدخرها ، ولا يسرق من أصدقائه ، بل ولا أن يتشبث بواحدة من تلك الحيل السود القبيحة ، التى يضيع بها العامل على الأرض حياته . وأنت نفسك ـ عرفت هذا مرة ، ولقد قضيت ـ وأنت رئيس الملاحين ـ فيه سنين .

كريس : (يتعتع غاضبا) لقد قلت لك انك أحمق مجنون .

برك : ابتعدت المرساة ـ لقد لطمك البحر مرة ، فطرحك ولست بالرجل الذى يستطيع أن يصمد لضربة أخرى ، فبقيت طريحا بقية حياتك تولول على القاتل (بكبرياء) ألم أكن أنا الذى كاد أن يغرقه البحر ، وقد حطمه وهشـمه ! وقد اقتربت من جهنم حتى كدت أسمع فحيح لهيبها ، ومع ذلك فلم تنطلق آهة أو أنة من فمى . وصمدت حتى استسلم البحر ، ورأى فى القوة الكبرى ، والحيوية التى ترى فى أشد الرجال !

كريس : (باحتقار) نعم ، كنت ماردا من الرجال ، لقد سمعتك تقول هذا .

برك : (بغضب) وستسمينى كذابا مرة أخرى أيها الشيخ ! ألم تكن قصتى كاملة ، وصورتى معها فى جرائد بوستن قبل أسبوع .

(ينظر الى كريس من أعلاه الى أسفله نظرة استخفاف)
نعم ، يحلو لى أن أراك وأنت فى عنفوان شبابك ، تقارع ، على نحو ما قارعت فى العاصـفة وما بعدها ، اذن لكنت أراك مخبولا معتوها ، يصطرخ بالخوف حينذاك .

كريس : مهو ! لقد كنت معتوها صغيرا ، فيما مضى من السنين . عندما كنت فى سـفينة شراعية . لقد خضت مئات من العواصف أشنع من عاصـفتك تلك ـ وكانت السفن سـفنا حينذاك ، وكان الرجال الذين يبحرون بالسفن رجالا ، كل الرجال . والآن ما هذا الذى تراه فى البواخر !؟ انك تجد على ظهر السفن رجالا لا يفرقون بين السفينة تبحر فى البحر ، والسـفينة عملت لحمل القـذارة والأوساخ (يرميه بنظرة ذات معنى) وفى قاع السفينة ترى رجالا لا يعرفون غير تعبئة الفحم وجمعه بالرفش ، على نحو ما يعبأ الفحم فى العربات على الشاطىء .

برك : (كالملسوع ـ بغضب) أتراك ترمى الاهانات على الرجال فى موقد الباخرة ـ أيها القرد العجوز . قاتلك الله ! ان واحدا منهم ليعدل عشرة من أمثالك .

كريس : (ينقبض وجهه من الغضب ، وتمتد يده وراءه الى حيث السكين المغمدة على كفله) أيها الخنزير الايرلندى انت !

برك : (فزعا) وأنت لا تحب الايرلندى ، أيها القرد العجوز ! ان هـذا هو ما تحتاج لأن يكون فى عائلتك . رجل ايرلندى ، ووقاد فى باخرة ـ وحينئذ لا يكون لك أحفاد رعاديد جبناء ، حمقى ، على شاكلتك .

كريس : (نصف قائم من كرسيه ـ فى صوت يغص بالغضب) أنت انتبه ! .

برك : (يراقبه ـ وعلى شفتيه ابتسامة الساخر) هذا ما سيكون ولا عبرة بما ستفعل لمنعه ، لأنني أنا وأنا سنتزوج اليوم وليس في وسع خرف عجوز مثلك أن يوقفنا ، مادمت قد وطدت العزم عليه .

كريس : (بصرخة مرعبة) انت لا تستطيع هذا ! (يلقى بنفسه على برك ، دافعا كرسيه الى الوراء والسكين فى يده . برك يقفز مسرعا على قدميه متقيا الهجمة . يضحك ضحكة المحب للحرب ويكون السويدى العجوز كالطفل في يديه . برك لا يضربه ولا يحاول الاساءة اليه بحال من الأحوال . ولكنه ببساطة يلوى يده اليمنى الى خلف ظهره ، ويأخذ السكين ـ رغما عنه ـ من أصابعه ، يرمى السكين فى زاوية بعيدة من الغرفة ـ ثم معبرا) .

برك : ان الشيوخ الذين نكسوا كالأطفال ، ليس لهم أن يلعبوا بالسكاكين (حافظا كريس الذى ظل يصارع ، على بعد ذراع منه ـ ثم يرفع قبضته فى سورة من الغضب مفاجئة) أوشك أن ألطمك لطمة تضع العقل فى رأسك الأخرق . ابعد عنى الآن ـ وهأنذا أنبهك وأحذرك (يدفع كريس بيده المفتوحة ، فيندفع السويدى العجوز الى الوراء مترنحا على حائط الغرفة ، ويظل واقفا فى مكانه من الحائط يلهث وعيناه تنظران بكره الى برك ـ كأنه يستجمع قواه ليعيد الكرة ، وينقض عليه مرة أخرى) .

(برك محذرا) والآن ! أقول لك : لا تقترب ثانية ، والا تركتك على الأرض ممددا بضربة . وانك وان كنت والد أنا نفسه الا أن صبرى قد نفد (ثم بضحكة مرحة) نعم انك شيخ شجاع ، ولم يدر فى خلدى أنك كنت تهم أن تنازلنى وحدك ، (ظل يجتاز شبابيك الغرفة فيتطلع الرجلان اليه . تظهر أنا فى مدخل الباب) .

أنتا : (بسرور غريب وهى تنظر الى برك) هلو ! مات . هل جئت منذ زمن الى هنا ! لقد كنت نازلة ... (تقف منقلة نظرها بينهما ، كأنها أحست فى الحال أن شيئا قد حدث) ماذا جرى ؟ . (ناظرة الى الكرسى المقلوب ـ محذرة) كيف انقلب ذلك الكرسى ؟ . (تلتفت الى برك موبخة) انك لم تكن فى عراك معه ، يا مات .. بعد أن وعدت ! .

برك : (كما كان من قبل) اننى لم أضع يدا عليه يا أنا (يذهب الى الكرسى فيقيمه ، ثم يعود ثانية الى أنا التى ما زالت تبدو متسائلة ـ ثم فى ابتسامة الواثق) أرجو ألا يزعجك هذا أبدا . انها لم تكن الا محاورة أردنا أن نمضى بهـا الوقت ريثما تأتين .

أنّا : لابد أن تكون محاورة من نوع جعلتك ترمى بها الكراسى (تلتفت الى كريس) لم لا تقول شيئا ؟ . فيم كان الأمر !؟

كريس : (متراخيا ـ كأنه يهرب من عينيها ـ ثم بلهجة الطفل) كنا نتحـدث عن السفن ، والرجال الذين يعملون فى البحر .

أنّا : (تبتسم ابتسامة المنتعش) آه ـ الحديث القديم أليس كذلك !

برك : (كأنه قد انتهى الى قرار حازم فى الحال ـ ثم بلهجـة المتحدى لكريس) انه لم يخبرك بالقصة كلها ، لقد كان جدلنا يدور حولك .

أنا : (بعبوس) يدور حولى أنا ! .

برك : وسنحاول أن نفرغ منه الآن هنا ، وبحضرتك ، اذا رغبت (يجلس على الناحية اليسرى من النضد) .

أنا : (منقله بصرها ـ في شيء من الشك ـ بينه وبين أبيها) نعم ، قل لى القصة كلها .

كريس : (متقدما الى النضد ـ محتجا على برك) لا تفعل ، أنت ! أنا . قولى له انك لا تريدين أن تسمعى حديثه .

أنا : ولكنى أريد ... أريد أن توضح لى القصة كل الايضاح .

كريس : (خائفا متخاذلا) أجل ، ولكن ليس الآن ، على أية حالة ، كنت تريدين الذهاب الى الشاطىء ، نعم ؟ وقد لا تجدين الوقت الكافى .

أنا : (مصرة) نعم ، الآن ، وهنا (تلتفت الى برك) أخبرنى بها أنت يامات ما دام لا يريد أن يخبرنى بها هو .

برك : (متحسرا ـ ثم بشجاعة) القصة كلها بألفاظ قليلة هى أنه يكره أن يرانى ، وانى قلت له فى وجهه اننى أحببتك ! (ثم بعاطفة وتأثر) وهذه هى مشيئة الله يا أنا ، وأنت تعرفين هذا جيدا .

كريس : (بازدراء ـ متكلفا الضحك) ههو ! انه يقول هذا لكل فتاة يلقاها فى كل ميناء .

أنا : (منكمشة مما سمعته من أبيها ـ بامتعاض) أطبق فمك ، ألا تقدر ؟ . (ثم الى برك ـ بعاطفة) أنا أدرى أنه الحق ما قلته أنت ، ولا أبالى ما قاله هو .

برك : (شاكرا بتواضع) بارك الله فيك ! .

أنا : ثم ماذا ؟ .

برك : ثم (يتردد) ثم قلت (ناظرا اليها نظرة المستعطف) قلت اننى متأكد ـ قلت له اننى يبدو لى أنك تضمرين لى بعض الحب أيضا (بعاطفة ورجاء) قولى نعم يا أنا !

وعساك ــ اكراما لله ــ لا تقضين على قضاء مبرما (يأخذ يديها كلتيهما بكلتا بيديه) .

أنتا : (تضطرب متأثرة تأثرا عميقا ــ ثم تتكلف أن تضحك ضحكة مرتجفة) واذن ، فقد قلت له يامات فلا غرو أن يجن جنونه (متكلفة الاستمرار فى الحديث) نعم ، ربما كان هذا صحيحا يامات ، وربما كنت أحبك ، لقد كنت أدير هذا فى خاطرى المرة بعد المرة ! ــ أنا لا أريد يا مات أن .. لقد كنت أريد أن أنتهى من هذا ــ ولكن (تضحك ضحكة اليائس) يبدو لى ألا مفر لى منه على أية حالة ، ولذا يبدو لى أنى أحبك يامات (ثم متحدية بسرور) نعم أحبك كل الحب ــ وما الفائدة فى أن أخادع نفسى نعم أحبك كل الحب يامات .

كريس : (صارخا صرخة المتألم) انه (يترامى منهارا فى مقعده) .

برك : (باخلاص عميق فى صـــوته ، وهو يتواضـــع معترفا بالجميل) تبارك الله ! .

أنتا : (مؤكدة) وانى لم يسبق لى أن أحببت انسانا فى حياتى من قبل ــ ولكأن تعتقد هذا ، وليكن بعد ذلك ما يكون !

برك : (يتقدم اليها ، ويلفها بذراعيه) نعم ، بالتأكيد أصدق كل كلمة قلتهـــا أو ستقولينها ، وستكون لى ولك حياة جميلة لطيفة نحياها الى آخر أيامنا (يحاول تقبيلها . تبعد رأسها عنه أول الأمر ــ ثم تعود مغلوبة بشـــعور عميق من الحب العاطفى فتأخذ رأسه بيديها ، وتمسك بوجهه تدنيه من وجهها ، ناظرة فى عينيه ، ثم تقبله من وسط شفتيه) .

أنتّا : (وهى تدفعه عنها ـ متكلفة ضحكة كبيرة) مع السلامة !
(تمشى الى الباب ، ثم تقف ناظرة الى الخارج مولية ظهرها . ترتجف كتفاها مرة بعد مرة كأنها تصارع انفعالها وهى تنشج) .

برك : يصعب أن تجد حتى فى سماء الله السابعة ما تفسر به الفاظها تفسيرا صحيحا (ثم بضحكة) مع السلامة ! أليس كذلك . يا لهذا القول ! سأعود اليك بعد لحظة واحدة لأحظى بما حظيت به مرة أخرى (ثم الى كريس الذى أسرع منتبهـا الى قول ابنته مع السلامة ، راح يتبعها بنظراته وبعينيه أمل اليائس) والآن ، أيها الشيخ العربيد ، ما الذىتقوله لى ! لقد سمعتالقول من شفتيها فاعترف بأننى غلبتك . كن كالرجل يغلب فى كفاح عادل ويظل لطيفا ، وهذه يدى أمدها اليك (يمد يده اليه) وعساك تأخذها ، وتتصافح ، وننسى ما حدث وانتهى ، ونكون صديقين منذ الآن ...

كريس : (بكره واضح) لا أصافحك أيها الرجل مادمت حيا .

برك : (متألما) واذا فأنا أعطيك ظهر يدى ، وربما كان هذا أنسب لك (مزمجرا) ما أقبحك مراهنا يخسر الرهان ! أصلحك الشيطان ! .

كريس : اننى لم أخسر (يحاول أن يظهر بمظهر المزدرى له) ان أنا قالت انها تحبك بعض الحب ، وأنا أراهن أنك لم تسمعها قالت انهـا ستتزوجك (أنا تلتفت اليهما حين تسمع اسمها ، تلوح فى وجهها الرزانة والهدوء ، ولكنه هدوء اليأس المميت) .

برك : (بازدراء) لا ، ولم أسمعها تقول : ان الشمس طالعة أيضا .

كريس : (بشراسة وعناد) هذا حسن ! وهى لم تقله أيضا .

أنّا : (هادئة ــ تقترب منهما) لا ، أنا لم أقل ذلك يامات .

كريس : (بلهفة) والآن ! أسمعت ! .

برك : (غير فاهم ما قصدته ــ ثم يتجهم) أتعنين أنك ستنتظرين حتى تسألى ؟ . حسن هأنذا أسألك الآن . وسنتزوج ــ بعون الله ــ هذا اليوم ! .

أنا : (برفق) ألم تسمع ما قلته يامات ــ بعد أن قبلتك ! .

برك : (وقد تنبه الى شيء فى لهجتها) لا ــ لا أتذكر .

أنّا : لقد قات لك : « مع السلامة » (بصوت مرتجف) . كانت القبلة ، لعبارة : مع السلامة « يامات » .

برك : (مروعا) ما الذى تعنينه بهذا ؟ .

أنّا : أنا لا أستطيع الزواج منك يامات ، ولقد قال كل منا لصاحبه : مع السلامة ، وفى هذا الكفاية !

كريس : (غير قادر على كتمان سروره الشديد) لقد عرفت هذا ، وكنت أعرف أن الأمر سيجرى على هذا النحو .

برك : (يقفز واقفا على قدميه ــ غير مصدق ما تسمعه أذناه) أنا ! ــ أتريدين أن تجعلى منى ألعوبة !؟ ليس هذا أوان المزاح معى ، وأرجو ــ اكراما لله ــ ألا تفعلى هذا .

أنّا : (تثبت بصرها فيه) أتظننى مازحة معك ؟ . لا لست مازحة يامات ، وانى أعنى ماقلته .

برك : أنت لا تمزحين ! أنت لا تستطيعين أن ... أقول لك انك حمقاء ان فعلته !

أنّا : (باصرار) لا ، لست كذلك .

برك : (بيأس) ولكن ما الذى طرأ عليك فغيرك هـــذا التغيير السريع ؟ . لقد كنت تقولين انك تحبيننى .

أنّا : وسأقول هذا كلما أردتنى أن أقوله . وانه لهو الحق !

برك : (متحيرا) واذا لم ؟ . . والشيطان ! ــ آه أعاننى الله !

اننى لا أستطيع أن أعرف لهذا رأسا ولا ذنبا ، أبدا !

أنّا : وأنه أحسن ما اهتديت اليه يامات . (يتهدج صـــوتها) لقد كنت أدير هذا فى رأسى ليل نهار طوال الأسبوع ، فلا تظنن أن هذا باليسير على أيضا ، يا مات !

برك : قولى لى بالله عليك ! ما الذى يمنعك من زواجى ، فى حين أن كلا منا يحب صاحبه .(تخطر بباله خاطرة ، فيشير الى كريس ــ حانقا) أتراك أخذت بأقوال ذلك الشيخ الخرف ، وهو يكرهنى ، فملأ سمعك بالأكاذيب عنى .

كريس : (واقفا على قدميه ، يضطرب هائجا ، بنشوة الانتصار ، قبل أن يكون المجال لأنا لأن تقــول كلمتها) نعم ، أنا تصدقنى ، وليست مثلك ، وانها تعلم أن أباها الشيخ لا يكذب مثلك !

أنّا : (ملتفتة الى أبيها بغضب) اقعد أنت ، ألا تسمع !؟ انك تدخل نفسك على الامور فتزيدها سوءا . أنت كالشيطان (بفظاظة) تبارك الله ! وكنت أخذت أحبك وأخذت فى نسيان مالا يرضينى منك .

كريس : (متراجعا متخاذلا بضـعف) انك لم تحفظى عنى ما لا يجب يا أنا .

أنّا : لم احفظ عنك . . . حسن ، دعنى أخبرك . . (تنظر الى برك وتسكت فجأة) قل ، يامات ، اننى متعجبة منك ، ألا تتذكر شيئا مما قال ؟

برك : (عابسا) نعم ، وماذا يكون أكثر من هذا ؟

أنتًا : أتظنني أعرت أى انتباه كل هذا الهذر ! . يا . . . لقد كنت تتصورنى طفلة فى الخامسة من عمرها .

برك : (يتحير ، ويأخذ فيه التأثر والانفعال بأقوالها) أنا لا أدرى كيف أتصورك ، ولا كيف أعاملك وأنت تقولين هذا الآن ، ثم ما تلبثين أن تقولى سواه بعد لحظة .

أنتًا : حسن ، لا شأن له بكل هذا .

برك : واذن ما شأنه . قولى ، لى ، ولا تتركينى منتظرا ، فالانتظار يقتلنى .

أنتًا : (بعزم) لا أستطيع أن أقول لك ـ بل ولا أريد ، وعندى لهذا سبب هام ـ وهذا هو كل ماأنت بحاجة الى معرفته . أنا لا أستطيع أن أتزوجك ، وهـذا كل ما فى الأمر (متحيرة) ولذا ، بالله عليك ، دعنا نتحدث فى موضوع آخر غير هذا .

برك : لن أفعل هذا (ثم بخوف) أتراك قد تزوجت أحدا ... فى الغرب مثلا ؟! .

أنتًا : (بعنف وشدة) أقول : كلا . !

برك : (مستعيدا ثباته) نطرح بالأسباب الأخرى كلها الى الشيطان اذن ، وهى لا تهمنى كثيرا ولا قليلا (ينهض واقفا على قدميه ، وقفة الواثق بنفسه ، ثم بصوت المسيطر) أراك كالنسوة اللواتى لا يستطعن أن يصلن بأنفسهن الى رأى قاطع الا أن يسقن اليه سوقا ـ حسن اذن ! أنا الذى سأسرع فأصل بك الى قرار سريع حازم (يأخذها بذراعيه ، متمتما متلطفا) لقد تحدثنا بما فيه

الـكفاية ، فهيا اذهبى الآن الى غرفتـك ، لترتدى أحسن لباسك ثم نذهب معا الى الشاطىء .

كريس : (ينهض ـ غاضبا) لا والله لن تفعل هذا (يمسك باحدى ذراعيها)

أنّا : (وقد أصغت مستغربة الى ما قاله برك ـ تتراجع عنه ، نافرة من لهجته ، ولكنها غير متأكدة فيما اذا كان جادا أو غير جاد فيما قال ـ تقول بلهجة المقاوم) قل لى كيف ساغ لك هذا ؟ .

برك : (بلهجة الآمر) لا عليك الآن ، أقول لك اذهبى والبسى (ثم ملتفتا الى كريس) سنرى من الذى يربح آخر الأمر ، أنا أم أنت .

كريس : (الى أنا ـ بلهجة الآمر أيضا) لا تبرحى مكانك يا أنا ـ أتسمعين !؟ .

(أنا تنقل بصرها بينهما ، ويبدو أن كلا منهما قد أضاع صوابه ـ ثم تبدو فى وجهها ملامح الهازىء الساخر) .

برك : (بشدة) لن تمتثل وستمتثل الى ما قلته ، لقد كنت أنت المتحكم فيها طويلا من قبل ، وقد جاء دورى الآن .

أنّا : (بضحكة عنيفة) دورك !؟ . وثم ماذا أكون اذن ؟ .

برك : ليس الأمر ما أنت عليه الآن ، بل ما الذى أنت صائرة اليه . فى هذا اليوم سـيكون زواجنا قبل أن يغشانا الليل ـ استعجلى الآن وهيا الى ملابسك .

كريس : (بلهجة الآمر) ما أنت بفاعلة شيئا واحدا مما قال ، يا أنا (أنا تضحك ساخرة) .

برك : ستفعل ، واذن ...

كريس : أنا أقول لك انها لن تفعل ، أنا أبوها .

برك : ستفعل رغمـــا منك ، وهى من الآن ستمتثل أوامرى لا أوامرك .

أنّا : (تضحك ثانية) الأوامر حسنة !

برك : (ملتفتا اليها ، وقد نفد صبره) استعجلى الآن ، وهزى قدمك للقيام ، ليس لنا من الوقت ما نبدده (ينفعل حين يراها لا تتحرك) أسمعت ما كنت أقوله لك ؟ .

كريس : ابقى ، ولا تتحركى يا أنا .

أنّا : (وقد نفد صبرها ــ تنفجر فيهما منفعلة) تستطيعان ــ كلاكما ــ أن تذهبا الى جهنم ! (يلمحان فى صوتها غرابة تجعلهما ينسيان شـجارهما ويلتفتان اليها بشىء من الحيرة . أنا تضحك ضحكة غريبة) . أنتما كبقية أولئك الرجال ! أنتما كلاكما ! يا الهى ! أكنتما تحسباننى قطعة من الأثاث ! سأريكما ! اقعدا الآن (يترددان ــ فتصيح فيهما بشدة) اقعدا ، ودعانى أحدثكما دقيقة . كلاكما مخطىء ، أرأيتما هذا ؟ استمعا الى وسأحدثكما حديثا .. ثم أترككما (مشيرة الى برك ــ وبضحكة فظة) سأقص عليك قصـــة غريبـــة ــ فاستمع لها ! (مشيرة الى كريس) ولقد هممت مرارا أن أرفع احتشـــــامى منه ، حين كان يغضبنى بكلامه السخيف حول الاحتفاظ بى أمينة سالمة فى البر ، فأحدثه بما لا أحب أن أتحدث به ، وما كنت لأفعل ذلك ، لولا اننى اضطررت اليه اضطرارا . انه ليس من الصواب أن ألجأ الى هذا ، على أنه ربما كان فيه علاجكما ، شـــأن غيركما من الرجال (ملحة فى التهكم والازدراء) لا تنس ما قلته قبل دقيقة ، وهو انك لا تهمك

الأسباب ، أيا كانت ، ما دمت غير متزوجة ــ انسانا آخر من قبل .

برك : (برجولة) كانت تلك كلمتي ، وسأظل محافظا عليها .

أنتّا : (تضحك بمرارة) أي فرصة هذه ! انك تضحكني بها ، أقسم بشرفي ، ألاتريد أن تراهن أنك ستظل عندكلمتك ! انتظر وانتظر (تقف في مؤخرة النضد ، تنقل بصرها بين الرجلين ، وهي تنظرهما بابتسامة الساخر ، ثم تأخذ في مصارعة انفعالها ، فتبدأ في الكلام هادئة رزينة) أولا ، قبل كل شيء ، أريد أن أحدثكما أيها الرجلان ، بشيء ! كنتما تتحاوران كما لو كان أحدكما يريد أن يمتلكني . ولكنني لا يمكن أن يمتلكني انسان ، أرأيتما !؟ ... أنا أتصرف في نفسي كما أشاء . سأفعل ما يسرني ، وليس لانسان ــ كائنا ما كان ــ أن يخبرني بما يجب أن أفعل ، وما أنا بسائلة أيا منكما اعالتي . بوسعي أن أحصل ــ بهذه الطريقة أو تلك ــ على ما أعيش به ، وأنا سيدة نفسي . ولذا فأرجو أن تديرا الرأى فيما توهمتماه !

برك : (محتجا) انني لم أكن قصدت الى هذا أبدا ، وأنت تعلمين ذلك جيدا ، وليس لك أن تثيرى هذا الشغب والشجار على (مشيرا الى كريس) اما هو فلك الحق في أن تثيريه عليه .

أنتّا : سيكون لي شأن معه . ولكن أنت ــ قد قصدت الى ما أشرت اليه أيضا ، لقد أحسست هذا منك ــ وما أنت الا كغيرك من الرجال (بانفعال جنوني) ولكن ! كف عن هذا واسكت ، ودعني آخذ الحديث بموضوع آخر .

برك : انه كلام غريب فظ ــ وكبير أن يصدر مثله من فتاة محتشمة مثلك !

أنّا : (تضحك ضحكة فظة) محتشمة !؟ . ومن الذى قال لك اننى كنت كذلك ! .

(كريس جالس وقد حنى كتفيـــه ، ووضـــع رأسه فى راحتيه تنحنى اليه وتهز كتفيه بعنف) لا تنم أيها الشيخ ، واستمع الى فأنا مكلمتك الآن .

كريس : (يتطلع ببصره الى الأمام والجوانب كأنه يبحث عن مهرب ثم يصرخ ينهاها وهو خائف) أنا لا أريد أن أسمع ذلك . أراك فقدت صوابك يا أنا .

أنّا : (بعنف) حسن ، أن العيش معك كفيل بأن يخرج كل انسان عن طوره ما أجمل ما عندك من هذر عن الريف ! ألم أكتب اليك سنة بعد سنة ، أى حياة قذرة كانت ، وأى أمة « ذليلة » جعل منى أبناء خالى !؟ وما أهمية ذلك كله عندك . لا شىء . بل انها لم تبلغ بك الى حد أن تأتى الى فترى حالتى ، تلك الرغبة الجامحة المجنونة فى أن تبعدنى عن البحر ... انك لا تريد أن تزعج نفسك بأن تكون مسئولا عنى ، وما أنت الا كغيرك من الرجال .

كريس : (بضعف) ان الأمر لم يكن كذلك يا أنا .

أنّا : (غير ملتفتة الى ما قال ـ تتحدث كأنها تنتقم لنفسها) على أن هناك أمرا واحدا لم أكتب اليك به . كان واحد من أبناء الخال ـ الذين كنت تحسبهم على جانب كبير من الطيبة والوداعة ، كان الأصغر ، « پول » هو الذى اعتدى على عفافى (يرتفع صوتها) ولم يكن لى ذنب فى هذا لقد كرهته كرهى لجهنم ، وهو يعرف هذا ، ولكنه كان ضخما قويا (مشيرة الى برك) مثلك !

(برك وقد هم بالوقوف وأعد قبعته) يا للهول ! (يتهاوى في كرسيه ثانية ، تبدو أطراف أصابعه في قبضة يده مصفرة مبيضة ، ويبدو الصراع في وجهــه لضبط ما يعانيه من حزن وغضب) .

كريس : (في صرخة من الرعب والألم) أنا .

أنّا : (تتحدث اليه ، وكأنها لم تسمع مقاطعتهما لها) كان هذا هو السبب الذى من أجله هربت من المزرعة ، وكان هو الذى دعانى لأن أشتغل ممرضة في مستشفى « سنت پول » (بضحكة فظة ساخرة) وكنت أنت تظن أن هذا عمل حسن لفتاة ، أيضا ، أليس كذلك ؟ (متهكمة) حسن لكل أولئك الأشخاص الطيبين الذين يعيشون على الأرض ، والذين ـ على ما أتصور ـ يتطلعون الى فرصة ، تتيح لهم ، أن يتزوجونى ! أى فرصة هذه ، وأى حظ هذا ! لم يكونوا متطلعين الى الزواج . (يطلق برك آهة غضب تند عنه ـ مستمرة بلهجةاليائس) أنا أعترف بكل ما هو حسن عدل ، أقول لك اننى كنت حبيســة كما لو كنت في سجن ، وكنت أعنى بأطفال بعض الناس ، مستمعة اليهم يبكون ويصرخون ليل نهار ، وحين كنت أريد أن أتركهم ، كنت أشعر بوحشة ووحدة ، وحشة ووحدة كأنهما الجحيم (يتضاءل صوتها كأنها أصيبت بانهيار مفاجىء) وأخيرا كففت وسلمت ! ثم ماذا كانت الفائدة ! . (تتوقف وتتطلع الى كل من الرجلين ، كان كلاهما صامتا لا يتحرك . يبدو كريس فى حالة مريعة من اليأس ، وقدتساقط بيته المبنى من الورق حوله ، برك ، يطفح وجهه بالغضب يأكله أكلا ، ويبدو بشكل الحائر الذى لا يجد متنفسا لما هو فيــه ، يكون صمتهما باعثا

لأنا على تحـــد قاس عنيف) انكما ، كليكما ، لم تقولا كلمة ، ولكننى أدرى ما يجول بخاطر كل منكما . ما أنتما الا كغيركما من الرجال ! (الى كريس ـ بعنف وغضب) ومن الملوم فى هذا . أنا أم أنت ؟ لو أنك فعلت ما يفعل الرجال ـ بل لو كنت كبقية الآباء وكنت معك ، لو كنت كذلك لتغير وجه الأمور .

كريس : (فى حالة عنيفة من الانفعال) لا تتحدثى على هذا النحو يا أنا ، لقد جننت أنا ، ولا أريد أن أستمع اليك (يضع يديه فى ذنيه) .

أنّا : (مثارة بما فعل ـ مصرة) ولابد أن تصغى أيضـــا ! (تنحنى بعض الشىء عليه وتجر يديه من أذنيه ـ ثم بحالة غضب عنيفة) أنت ـ تظن أنك تحفظنى آمنة فى المدينة ! اننى لم أكن مربية أطفال فى السنتين الأخيرتين ، لقد كذبت عليك حين كتبت لك هذا . لقد كنت فى بيت هكذا كنت ... ! نعم ذلك النوع من البيوت ـ التى يذهب اليها المـلاحون أمثالكما فى الموانىء ويذهب اليهـا رجال اليابسة ، الذين تنعتهم أنت « باللطف » أيضا ـ وكل الرجال .. لعنهم الله ! أنا أكرههم وأمقتهم (تنفجر باكية ، وهى تنشج فى حالة عصبية شديدة ، تلقى بنفسها على الكرسى مغطية وجهها بيديها متكئة بهما على النضد . يقفز الرجلان واقفين) .

كريس : (ينشج باكيا كالطفل) أنا ! أنا ! هـذا كذب ، هـــذا كذب ! (يقف يعصر احدى يديه بالأخرى ، وهو ينشج ويبكى) .

برك : (يتصلب جسمه الضخم منكمشا ... ثم بحيرة) واذا هذا ماكان !

أنا : (رافعة رأسها حال سماعها صوته ـ ثم بتهكم وازدراء بالغين) أظنك تتذكر وعـدك يا مات . بأن لا شيء من الأسباب يستحق أن يحسب له حسابه ما دمت غـير متزوجة من قبل . ولذا فاحسبك ما زلت تريدنى أسرع فى لباسى لأذهب معك الى الشاطىء ، أليس كذلك !؟

(تضحك) نعم ، أحسبك كذلك !

برك : (على وشك أن ينفجر وينهـار ـ متعتعا) جازاك الله وقاتلك !

أنا : (تحاول أن تستمر فى نغمتها الشديدة المرة السابقة ، ولكنها تسمح لنغمة دفاع لينة أن تدب في صوتها شيئا فشيئا) بدا لى أن لو حاولت أن أكتم عنك هـذا ـ لما صدقتنى بعدها أبدا ، أليس كذلك ؟ . نعم ، لا تصدقنى أبدا ، ولو أننى قلت لك اننى بخروجى الى سفينة الشحن هذه ، وبقائى فى البحر قد تغيرت عما كنت عليه قبلا ، وصرت أنظر الى الأمور بغير ما كنت أنظرها من قبل ، وكأن كل ما حدث لى من قبل قد امحى ، حتى كأنه لم يحدث لى أبدا ـ لو اننى قلت لك هذا لضحكت منى ، أليس كذلك ؟ بل ربما كنت تموت ضـحكا ، لولا أننى فى مقابلتى القريبة لك ، فى تلك الليلة ذات الضباب ، وفيما بعدها . صرت أشعر لأول مرة أنك الصق انسان بى ، واننى صرت أشعر أننى أقابلك وكأنك صنف آخر من الرجال ، من رجال البحر الذين يختلفون عن رجال البر اختلاف الماء عن الطين ، ـ وهذا ما جعلنى أحبك وأصبح أشد ما أكون التصاقا بك أيضا .

لقد أردت أن أخدعك ، ولكن قلبى لم يطاوعنى على

هـــذا ألا ترى كيف تبدلت وتغيرت ؟! اننى لم أستطع الزواج منك وأنا أشعر أنك صدقت ما قلته وأنا كاذبة ــ وكنت أخجل أن أصارحك بالحقيقة ــ كنت كذلك حتى أرغمتمانى ، كلاكما ، على أن أقول انكما عندى كبقية الناس . والآن فقد آن لك أن تخاصمنى ، وتتركنى وتبتعد وهذا ما أراك فاعله .

(تتوقف عن الكلام ناظرة الى برك . وهو صامت ، قد حول وجهه عنها . وصارت ملامحه تتقلب بانفعاله ــ تستمر بعاطفة وانفعال) أتستطيع أن تصدقنى اذا قلت : ان حبك قد طهرنى . وان هذا ، وأنا أقسم لك ، انه الحق الصراح . (واذ لا يجيب ــ تستمر بمرارة) فلتكن كجهنم ما أنت الا كبقية الرجال !

برك : (منفجرا ــ ملتفتا اليها بصورة شـديدة من الغضب ــ يقول بصوت مرتجف) كبقية الناس ، أليس كذلك . لعنك الله ! طاهرة ، أليس كذلك ؟ . أيتها العـــاهرة ! لأقتلنك الآن ! (يلتقط الكرسى الذى كان جالسا عليه ، يرفعه عاليا فوق كتفه ، ويقفز اليها . كريس يندفع اليه بصيحة من الذعر محذرا ، محـاولا أن يرد الضربة عن ابنته . أنا ــ محملقة فى عينى برك ، تنظره ، غير خائفة ، نظرة اليائس . برك يصد نفسه عنها فيظل الكرسى فى الهواء) .

كريس : (بفظاظة) مكانك ! أيها المجنون ! أتريد أن تقتلها .

أنـّا : (تدفع أباها بخشونة ، وتظل عيناها محملقتين فى عينى برك) ابتعد عن هذا ! (الى برك ــ بفظاظة) حسن ، ألم تكن فيك القدرة لتتم فعلتك ! .

امض فى سبيلك ! وأقسم بشرفى اننى سأكون شاكرة لك لو فعلت ... لقد عافت نفسى هذه الدنيا وما فيها !

برك : (يلقى بالكرسى ناحية في زاوية من زوايا الغرفة (فى شبه استغانة) لم تطاوعنى نفسى — لى الله — وعيناك محدقتان بى (بغضب وشدة) ولو اننى كنت أفكر فان لى الحق فى أن أكسر رأسك كما تكسر البيضة الفاسدة . أفى الدنيا كلها امرأة واحدة بها ما بك من دنس ! . وهل فى الدنيا كلها رجل واحد خدع مثل خديعتى فيك !؟ كنت أجيل خواطرى فيك ، مولها بحبــك حالما أجمل الأحلام بالحياة السعيدة التى نحياها حين نكون زوجين (يتقطع صوته بما يشـبه النواح) يا الهى ! عونك يا الهى ! لقد تهدمت ، وتقطع قلبى قطعا ، وانى أسأل الله نفسه ، أكان هذا هو الذى من أجله جعلنى أجوب الأرض منذ بلغت مبلغ الرجال حتى أصل الى هذا العار الأسود آخر الأمر الى حيث صيرنى أحب بهـذه القوة البالغة من الحب امرأة ككل النساء اللواتى نلقاهن فى كل بيت من بيوت الدعارة القـذرة فى كل ميناء ! نلقاهن بأثوابهن الحمر ، وبالأصباغ على شـفاههن وأوجههن الكالحة وقد هيأن أنفسهن للنوم مع كل رجل لقاء درهم أو درهمين !

أنّا : (تصرخ ، وكأنها صعقت) لا تقل هذا يا مات . بالله عليك ، لا تقل (تضرب النضـد منفعلة بيديها) أخرج من هنا واتركنى وحدى ! ابتعد عنى !

برك : (يسرع اليه غضبه) نعم ، سأخرج من هنا ، وسأشرب من الخمر ما يغسل قبلاتك السود من شفتى ، وسأكون من السكر بحيث لا أتذكر فيما اذا كنت قد خلقت أصلا ، ولأحملن نفسى فى قارب يلقى بى فى الطرف الآخر من

هذا العالم ، حيث لا أرى وجهك أبدا (يتوجه الى الباب)

كريس : (وقد كان واقفا بحالة ذهول ـ يأخذ بذراع برك يمسكه فجأة ـ ثم ببلادة) لا تخرج ، وأرى أن الأولى أن تتزوجك أنا الآن .

برك : (يدفع كريس ويبعده عنه ـ وفي سورة من الغضب) دعني أخرج ، أيها القرد العجوز ، تقول لى تزوجها ! أليس كذلك ؟ . أولى لى أن أراها تشوى على النار فى الجحيم ، وأقول لك اننى سأبحر الآن وأولى بعيدا عنكم (مشيرا الى أنا ـ بعاطفة) أنا ألعنكويلعنك الله العظيم ! ويلعنك القديسون كافة ! لقد هدمتنى وقضيت على اليوم ، وانى أدعو عليك بأن تقضى لياليك الطويلة ساهرة يجفوك النوم ، وتعذبك الخواطر فى ماتبرك ، وما جنيت من ذنب عظيم عليه !

أنّا : (فى كرب وحزن) مات ! (يتجه الى الباب ، ويخطو خطوة واسعة الى الخارج ، من غير أن ينطق بكلمة واحدة ، أنا تنظر اليه بوله ، ثم تتهيأ لتركض وراءه ، ثم تغشى وجهها بيديها ، وهى تنشج . كريس يقف ذاهلا مطرقا فى الأرض) .

كريس : (يتردد ، ثم ببلادة) وأرى أن تذهبا الى الشاطىء ، أيضا !

أنّا : (تتطلع اليه ثم بعنف) لا تعد وراءه ! دعه يذهب ! ألا تتجاسر .

كريس : (مغموما) أريد أن أذهب الى حيث أجد الخمر .

أنّا : (بضحكة فظة) واذن ، فأنا التى تدفعك الى الشراب أيضا ، أليس كذلك ، يبدو لى أنك تريد أن تغرق نفسك فى الشراب ، لتنسى مثل ما ينسى .

كريس : (ينفجر ـ ساخطا) نعم ، أريد ، وهل تحسبين أننى كنت أحب أن أسمع ما فهت به . (ينفجر باكيا) ما كنت أحسبك من هذا الصنف من النساء ، يا أنا !!

أنا : (هازئة) كنت أحسبك تريدنى أن أذهب أليس كذلك ؟ انك لا تريدنى أن أظل هنا ، فأجلب العار لك ! هذا ما أظنه .

كريس : لا . ظلى فى مكانك هنا (يتقدم اليها يربت كتفها ، والدموع تنهمر على وجهه) لم يكن ذنبك هذا يا أنا . أنا أعرف هذا . (تتطلع اليه متلطفة ، فينفجر فى غضب) أنه البحر ، ذلك الشيطان الرجيم ، هو الذى سبب لى كل هذا . (يهز قبضته ، كأنه يريد أن يضرب الباب) انها حيله القبيحة القذرة ! كان لا بأس بأن نعيش فى سفينة الشحن هذه ، أنا وأنت وحدنا ، ثم قذف الينا البحر اللعين بذلك الايرلندى فى الضباب ، فصيرك تحبينه ، وتشاجرينني دوما من أجله ، فلو أنه لم يأت ! اذن لما أسمعتنى ما أسمعتنى من أمور لم أكن أعرف شيئا عنها واذن لكنا فى صفاء (يهز قبضته مرة ثانية) أيها الشيطان الرجيم القذر !

أنا : (فى تعب وسأم) وما الفائدة فى هذا كله ! . اذهب الى الشاطىء ، الى خمرتك !

كريس : (يذهب فى الغرفة على اليسار فيتناول قبعته ، يتجه الى الباب بصمت وذهول ـ ثم يلتفت) أتظلين هنا ، يا أنا ! .

أنا : (بتثاقل) ربما ـ وربما لم أبق . وربما أغرقت نفسى فى الخمر أيضا ! وربما ذهبت الى ... ولكن ماذا يعنيك من أمرى .. اذهب أنت واتركنى وحدى (كريس يدير وجهه متثاقلا ويخرج . تقعد أنا على النضد شاردة ببصرها الى الأمام) .

ستار

الفصل الرابع

منظـــــر

المكان ، على نحو ما كان عليه من الفصل الثالث ، بعد يومين من الفصل السابق ، فى الساعة التاسعةفى ليلة ذات ضباب ، تسمع صافرات البواخر فى الميناء .

الغرفة فى السفينة مضاءة بمصباح صغير على النضد ، وفى وسط الغرفة ، على الأرض ، حقيبة . أنا جالسة فى الكرسى المترجح ، وقد ارتدت قبعتها ، ولبست لباسها كاملا كما كانت فى الفصل الأول . يبدو وجهها شاحبا مصفرا قد اضناها وانحلها التعب ، حتى كأنها قضت تلك الليلتين فى أرق وعذاب ، تبدو مطرقة يائسة ، قد أسندتوجهها بيدها . يسمعصوت طرق ضعيف على الباب فى الخلف . انا تقفز على قدميها بسرعة تنظر صوب الباب ، نظرة مازجهـا الأمل والخوف .

أنا : (بصوت خافت) ادخل (ثم مستجمعة شجاعتها ، صائحة بحزم وعزم) أدخل (يفتح الباب ، ويبدو كريس داخلا ، يتلمس طريقه ، كأنه لا يبصر ، وقد اتسخت ثيابه وتبهدلت هيئته وهو يعانى من أثر السكر وبيده قنينة مزبدة من البيرة يسير قدما وعيناه تحـاولان الهرب من عينى أنا ، وهو يتمتم بعسر) انه الضباب ! (أنا ناظرة اليه باحتقار) وإذن ، فقد عدت أخيرا ، أليس

كذلك ؟ . ما اجمل منظرك هذا ! . (ثم باستهزاء) كنت احسب أنك ستتركنى الى الأبد — لما جلبته لك من عـار .

كريس : (يجفل ، ثم بضعف) أرجو الا تقولى هذا ياأنا ! (يجلس على كرسى بجوار النضد ، يضع عليه علبة البيرة ، وهو يمسك راسه بيديه) .

أنّا : (ناظرة اليه بعاطفة) ما بك ؟ . اتحس أنك مريض ؟ .

كريس : (متثاقلا) احس بالمرض فى باطن راسى .

أنّا : حسن ، وماذا كنت تتوقع بعد أن نقعت نفسك يومين فيها ؟ . (ممتعضة) انها تلطف مزاجك . شىء جميل — أن تتركنى وحدى فى سفينة الشحن هذه طول تلك المدة.

كريس : (بتواضع وخجل) أنا آسف ، يا أنّا .

أنّا : (بازدراء) آسف .

كريس : اننى لا أحس اننى مريض فى باطن رأسى على النحـو الذى عنيته أنت ، ولكنى مريض من كثرة التفكير فيما سيكون لك ولى .

أنّا : وكيف تتصـور حالتى أنا ، ألا تظن أننى كنت افكـر أيضـا ؟ .

كريس : أنا آسف يا أنا (يرى حقيبتها فيجفل) أهيأت حقيبتك يا أنّا . وهل كنت على أن تسافرى .

أنّا : (بشـدة) نعم ، لقد كنت عائدة توا مما تصورته !

كريس : أنّا !

أنّا : لقد ذهبت الى الساحل لأستقل القطار الى نيويورك ، وقد انتظرت وانتظرت حتى عيل صبرى من الانتظار ،

ثم بدا لى أن أغير الرأى ، فقررت الا أسافر اليوم ولكننى سأذهب غدا ، وتكون النتيجة حينئذ هى هى .

كريس : (رافعا رأسه ــ متوسلا) لا ، لا تفعلى ذلك يا انّا .

أنّا : (ساخرة) ولم لا !؟ أحب أن أعرف .

كريس : لا اظنك عائدة أبدا ــ الى تلك الحالة ــ أبدا ، اقول لك اننى طويت صفحا عن ذلك .

انّا : (بشك) ما الذى طويت ؟!

كريس : (وكأنه لم يسمع سؤالها ــ ثم بحزن) أقلت : انك كنت منتظرة ؟! . أراهن أنك كنت فى انتظارى أنا .

أنّا : (بقساوة) قد تكون أنت الرابح .

كريس : كنت فى انتظار ذلك الايرلندى ؟

أنّا : (متحدية) نعم ــ اذا أردت أن تعرف (ثم بضحكة اليائس) واذا قدر له يعود ، فأحسبه انما يعود ليتركنى أو يقتلنى . وهبه عاد وفعل هذا ، فأنا أفضل أن يعود ويفعل ما يفعل ، على ألا يعود ولا يطل علينا ابدا !

كريس : يبدو لى انك كنت والهة به اذن ، لا بأس بهذا !

أنّا : يبدو لك !

كريس : (ملتفتا اليها بوقار) واذا لم يأت ، فسأكون أشد أسى، من أجلك أنت يا أنّا !

أنّا : (متلاطفة) يبدو لى أنك غيرت نغمة حديثك أى تغيير !

كريس : لقد كنت أفكر ، وقد رأيت أن الذنب ذنبى فى كل ما حدث لك من سوء (متوسلا) أرجو ألا تكرهينى يا أنّا ، اننى عجوز خرف ، وهذا كل ما فى الأمر .

أنّا : ومن ذا الذى يقول : اننى اكرهك .

كريس : انى آسف لما سببته لك من متاعب ياأنّا ، وانى لأتمنى لك حياة سعيدة فيما بقى من حياتك . فاذا كان زواجك من هذا الايرلندى يجعلك سعيدة ، فأنا أريده لك أيضا .

أنا : (بتثاقل) نعم ، قد فات الأوان ! ولكنى فرحة على كل حال بأن أراك تغير رأيك فيه .

كريس : (متوسلا) وهل تظنين أنك ربما غفرت لى يوما ما اسأت به اليك !

أنا : (بابتسامة فاترة) سأغفر لك : وأعفو عنك من الآن .

كريس : (يأخذ يدها ويقبلها ـ ثم بانكسار) أنّا ياحبيبتى الصغيرة . أنّا ياحبيبتى الصغيرة !

أنّا : (بتأثر وفى شىء من الحيرة) . لا تولول ! ليس هناك ما تطلب الغفران أو العفو عنه ، انها لم تكن خطيئتى ، ولم تكن خطيئتك ، بل ولا خطيئته هو أيضا ، اننا كلنا حمقى مساكين ، والقدر هو الذى يتصرف ، ثم يلتبس علينا وجه الأمور ، فنروح نخبط خبط عشواء .

كريس : (بلهفة) ان الصواب هو ما قلته يا أنّا ! أى والله ! انها لم تكن خطيئة أحد (يهز قبضته) انها غلطة ذلك الشيطان الرجيم ، البحر !

أنّا : (تضحك فى غضب) يالله ! ألا تستطيع أن تكف عن مثل هذا ... (يعود الى صمته ، فيسكت سكوت المتألم . بعد لحظة تتابع أنّا حديثها) قلت قبل دقيقة انك ستعنى بى ، وتضع الأمور فى نصابها ـ فما الذى أنت فاعله ؟

كريس : (بعد لحظة تردد) سأقلع عائدا الى البحر مرة أخرى ، يا أنّـا .

أنّا : (ذاهلة متحيرة) تفعل ـ ماذا ؟ .

كريس : لقد وقعت عقداً على الايجار فى باخرة غدا ، لقد عدت الى عملى القديم ، رئيسا للملاحين (أنَّا تحدق فيه ، وحين يستمر فى حديثه تكسو وجهها ابتسامة فاترة) ويبدو لى أن هذا هو خير ما أستطيع أن أعمله من أجلك أنت ، اننى ــ على ما أحسب ــ لم أكن الا شؤما عليك . لقد كانت حياة أمك كئيبة قاتمة ، وكنت السبب فى هذا ، وما كنت أريد أن تكون حياتك أنت مثلها ، ولكنها صارت كذلك على غير ما أردت . انه البحــر ، ذلك الشيطان الرجيم ، هو الذى خلق منى انسانا لا يسدى الخير لانســان . ولا أرى الآن فائدة فى عناد البحــر ومخاصمته . وأقسم بالله أن ليس بوسع انسان أن يغلبه.

أنَّا : (تضحك بمرارة وألم) واذن على هذا النحو وضعت الأمور فى مواضعها . أليس كذلك .

كريس : نعم ، يبدو لى لو أن ذلك الشيطان الرجيم ، البحــر أعادنى اليه ، اذن لأبقاك وحدك .

أنَّا : (بمرارة) ولكن ــ بالله عليك ــ ألا ترى أنك عائد لنفس ما كنت عليه قبلا ، ألا ترى هذا ؟ . (ترى الحــيرة والذهول يستوليان على وجه أبيها ، فتكف عن هــذا الاسترسال) ولكن ما الفائدة فى الكلام . أن كل ما فى الأمر هو أنك لست على صواب وانى لن ألومك بعد الآن على شىء ، ولكن كيف قدرت أن هذا الذى فعلته هو الذى سيصلح به أمرى !؟ .

كريس : لم يكن هذا كل شىء ، لقد طلبت الى الذين يعملون فى مكتب الباخرة أن يدفعوا اليــك ، كل شــــهر ، كل ما أستحقه من أجر ، وأن يظلوا كذلك مدة غيابى .

أنّا : (بضحكة فظة) شكرا . ولكن يبدو لى انى لن أكون فى ضنك من العيش بحيث أحتاج الى الدراهم القليلة !

كريس : (متألما ــ متواضعا) أنا أعرف انها ليست بالكثيرة ، ولكنها تكفيك وتقيك أن تعودى الى ما كنت عليه .

أنّا : (مسرعة) أطبق فمك واسكت ، وسنتحدث فيما بعد عن هذا . أرايت ..

كريس : (بعد لحظة يتردد فيها ــ ثم باستعطاف) أترين أن أذهب الى الساحل أبحث لك عن ذلك الايرلنــدى ، يا أنّــا ؟ .

أنّا : (غاضبة) كلا ، أتظنني أريد أن أجره الى جرا .

كريس : (يتوقف لحظة ــ ثم يقول وهو متضايق) أقسم بالله انه الشراب ! انه لم يعد يناسبنى ، وقد أحدث فى ــ على ما أرى ــ ضربا من الحمى ، انى أشعر أننى بحر الجحيم (يخلع سترته ، يدعها تسقط على الأرض . يسمع صوت لسقوطها) .

أنّا : (فزعة) ما هذا الذى فى جيبك بالله عليك ! حمل من الرصاص ! (تنحنى اليــــه فتناوله سترته مخرجة مسدسا منها ــ تنقل بصرها بين المسدس وبينه وهى فزعة) مسدس ! . مالك ولهذا !؟ .

كريس : (بسذاجة) نسيت ، لاشىء . وهو خال من الرصاص على أية حال !

أنّا : (تفتحه لتتأكد من فراغه ، ثم تغلقه ، وتنظر الى كريس نظرة الشاك) انك لم تخبرنى لم أخذته .

كريس : اننى شيخ أحمق . لقد أخذته معى حين ذهبت الى

الشاطىء أول الأمر ، وكنت أظن حينـذاك ان كل ما حدث كان سببه ذلك الايرلندى .

أنتا : (برجفة) أقول انك أكثر حماقة مما تصورتك ، انى لم يخطر بخاطرى أنك واصل الى ما وصلت اليه .

كريس : (مسرعا) لم أكن كذلك ! وسرعان ما ظهر لى وجـه الصواب ، حتى اننى لم أشتر العتاد . ليس الذنب ذنبه، وقد أدركت هذا .

أنّا : (ما زالت فى شك من أمره) حسن سيكون هـذا فى عهدتى الى حين سواء أكان فارغا ، أم مملوءا (تضعه فى مجر النضد ، وتطبق الزناد) .

كريس : (متلطفا بها) ألقه فى البحـر اذا شئت ! فلا أهميـة له عندى (بعد سكوت لحظة) أرى أن الأوفق أن أذهب فأضطجع . أحس كأننى مريض (تتناول أنّا مجلة من فوق النضـد ، ويظل كريس يتردد بجانب كرسيها) نتحدث مرة أخرى قبل أن أذهب ، أليس كذلك ؟

أنّا : (متثاقلة) الى أين تذهب تلك السفينة !

كريس : الى مدينة الكاب ، فى جنوب افريقية ، وهى باخـرة انكليزية يسمونها « لوندندرى » (يقف مترددا ثم ينفجر صارخا) أنّا — أرأيت أن تصفحى عنى ! .

أنّا : (متعبة) نعم ، وما من شك فى أنى سأصفح عنك . ما أنت بالملوم ، وما أنت .. الا كما أنا !

كريس : (متوسلا) اذن ... أتسمحين لى بأن أقبلك مرة أخرى .

أنّا : (رافعة وجهها — ثم بابتسامة فاترة) نعم ، لم يبق فى خاطرى ما يسوء .

كريس : (يقبلها وهو كسير) أنّا — ياصغيرتى الحبيبة ! أنا ...

(يبحث عن لفظة يعبر بها عن مشاعره فلا يجد ــ ثم ينشج يائسا) لا يطاوعنى قلبى على قولها ! ليلتك سعيدة ، يا انّا .

أنّا : ليلتك سعيدة (يأخذ قنينة البيرة ، ويمشى الى الغرفة على اليسار متثاقلا خائر العزم ، منحنى الظهر ، منكس الراس . يطبق الباب وراءه . أنّا تقلب صفحات المجلة الواحدة بعد الأخرى ، محاولة أن تطرد ما برأسها من خواطر بالنظر آلى الصور فى المجلة ، واذ لا تجد فى الصور ما يلهيها عن خواطرها ، تلقى المجلة على النضد ، وتنفجر واقفة ، وتروح تمشى فى الغرفة حائرة ، وهى تشبك يديها مرة ، وتطلقهما أخرى . تتحدث الى نفسها بصوت عال مرتجف) يا الهى ! أنا لا أقوى على احتمال هذا ! ثم ما هذا الذى انتظره ــ كالمعتوهة المخبولة ! . (تضحك ثم تقطع ضحكها فجأة ، حين تسمع وقع خطى ثقيلة على ظهر السفينة . يبدو لها أنها تعرفها فيتألق وجهها بالبشر ، تصرخ وهى تلهث) مات ! (يتسلط عليها رعب غريب فى الحال ، فتسرع راكضة الى النضد ، تفتح مجره وتخرج المسدس منه ، وتقعد القرفصاء فى الزاوية ، على اليسار ، وراء الخزانة، بعد لحظة يفتح الباب على مصراعيه ، ويبدو فيه ما تبرك داخلا . يبدو فى حالة رثة مزرية ــ ملابسه قذرة مهلهلة، علقت بها نشارة الخشب ، كما لو كان قد تدحرج أو نام على الأرض فى أحدى الحانات ، ترى كدمة محمرة فى جبهته فوق احدى عينيه ، وترى الأخرى مثلها فى وجنته ، وترى مفاصل أصابعه وقد كشط بعض الجلد عنها وتسلخت ــ آثار واضحة لعراك كانت فيه عيناه

تقدحان الشرر محمرتين ، ووجهه وارم منتفخ . ووراء هذه المظاهر الدالة على أنه كان فى سكر بين ــ مظهر آخر يبدو فى عينيه يعبر عما يعانيه من انفعال عقلى عنيف ، يشبه انفعال الحيوان يكبح جماحه) .

برك : (يتطلع بعينيه ، يغمضهما ويفتحهما فى جوانب الغرفة ، ثم بصوت فظ غليظ) لا تخفى نفسك ، كائنا من كنت عنى ! ــ ولو انك تعلمين أن لي الحق فى أن أعود اليك وأقتلك (يقف متسمعا ــ واذ لا يسمع صوتا ، يقفل الباب وراءه ويتقدم الى النضد . يلقى بنفسه فى الكرسى المتأرجح ــ ثم بيأس وعزيمة خائرة) يبدو لى أن ليس فى المكان أحـد ، وما أنا الا أخرق معتوه حين عـدت راجعا (ثم فى انفعال وبصوت غـير واضـح) يالله ! ياماتبرك ! أى حمار أحمق صرت ، ويل لك ، ولما دهاك ! أقول لك انها تولت من هنا وانك لن ترى وجهها أبدا بعد (تقف أنّا ، يتعاورها الفرح والخـوف . ماتبرك يلمح حقيبة أنا ، فينحنى عليها متطلعا الى ما فيـها) ما هذا ! (بفرح) انها حقيبتها ! ، وانها ما زالت هنا ، ولكن أين هى ؟ . فى الساحل !؟ (نعم) وما عساها تفعل فى الساحل فى هـذه الليلة اللعينة . (تغشى وجهه فى الحال غاشية من الحزن والغضب) انه ذلك ! أهو ...!؟ آه ! لعنة الله عليها (غاضبا) سأنتظرها حتى تعود ثم أنهى حياتها القذرة بعد ذلك (تقف أنّا ، وقد دب العزم فى وجهها ، تخطو فى الغرفة ، والمسدس بيدها اليمنى ، الى جنبها) .

أنّا : (فى صوت قاس هادىء) ما الذى تفعله هنا ؟

برك : (يتدحرج وهو يلهث) تبارك الله ! (ثم يبقى صامتا ، لا حراك به ، وعيناه فى عينى أنّا) .

أنّا : (بصوتها القاسى السابق نفسه) حسن ، ألا تستطيع أن تجيب .

برك : (يحاول أن يعبر بلهجة تنم على عدم الاكتراث) كنت أحسبنى وحيدا هنا ، ولقد أرعبنى أن أراك بهذه السرعة المفاجئة تتقدمين نحوى .

أنّا : لقد انهارت أعصابك فجئتنا هنا ، من غير أن تنبه او تطرق الباب ــ ما الذى تريده ؟ .

برك : (ببشاشة) لا ، لم يكن هذا بالأمر المهم ! كنت أود أن تكون لى كلمة أخيرة معك ، وهذا كل ما فى الأمر (يتقدم خطوة اليها) .

أنّا : (بحدة ــ رافعة المسدس بيدها) خذ حذرك الآن ! ولا تقترب ! لقد سمعت ما كنت تحدث به نفسك عنى.

برك : (يلمح المسدس لأول مرة) أتريدين قتلى الآن ! غفر الله لك ! (ثم يضحك ضحكة المستهزىء) أم تظنين أنى أخاف هذه الزمارة العتيقة ! (يمشى بثبات اليها) .

أنّا : (بغلاظة وعنف) قلت لك احترس !

برك : (يقترب منها حتى يكاد المسدس يمس صدره) أطلقي اذن ! (ثم بحزن عنيف عميق) أقــول لك : أطلقى رصاصك . اختمى حياتى بطلقة ، وسأكون شاكرا لك. انها حياة كلب قذر ، تلك التى كنت أحياها منذ يومين. منذ أن عرفت ما أنت عليه ، لقد ساءت حتى وددت لو اننى لم أكن خلقت أبدا .

أنّا : (مغلوبة على أمرها ، تترك المسدس يسقط على الأرض، حتى كأن أصابعها لم تعد بها القوة الكافية على أن تمسك

به ــ ثم بحالة عصبية) وما الذى تريده فى مجيئك الى هنا . لم لا تولى عنى ! . اذهب الآن ! (تجتازه وتلقى نفسها فى الكرسى المتأرجح) .

برك : (يتبعها ، ثم بلهجة حزينة) يحق لك أن تسألى : لم عدت . (ثم بغضب) ذلك لأننى مخلوق جبان أحمق ؛ عذبته بما حدثت به من سوء عن نفسك ، وقد شربت بحارا من الخمر جعلتنى أنسى . أنسى ؟ . ياللشيطان ! وهل أنسى لفظة واحدة ، ووجهك أبدا يلوح لناظرى ، فى يقظتى ونومى ! وظللت كذلك حتى تخيلت أن مستشفى المجانين أنسب ما يكون لى من الأماكن ! .

أنتا : (ناظرة الى وجهه ويديه ــ ثم بازدراء) تبدو كما لو كنت ماقى ، فى بعض الأماكن ، والعجب أنهم لم يقبضوا عليك ! وفيك آثار الكدم والسجج أيضا ، أليس كذلك؟

برك : نعم ــ كان لى صراع مع كل سافل يشمر عن ساعده ، ويخلع سترته للعراك (بوحشية) وكلما لكمت أحدهم لكمة فى وجهه ، تخيلته وجهك الذى أضربه ، لا وجهه . وكان بودى لو ضربتك ضربة أطاحت بك من وجه هذه الدنيا ، الى حيث أستريح من النظر اليك أو التفكير فيك .

أنتا : (ترتجف شفتاها مسترحمة) شكرا !

برك : (يتمشى حائرا) نعم ، لقد اتخذت منى ألعوبة تلعبين بها ! آه ! حقا اننى لجبان أخرق حين أعود فأتحدث اليك ، ولك الحق كل الحق فى أن تتخذى منى أضحوكة وألعوبة .

أنتا : ما أنا بالساخرة منك ، يامات !

برك : (غير ملتفت الى قولها) كونى انت ما تكونين ، أما انا فماتبرك . وانه العار الأســود لى اذ أعود فأنظر اليك مرة اخرى .

أنّا : (بحنق وغضب) أخرج اذا ، وما من أحد يريد بقاءك .

برك : (حائرا) وان أستمع الى هذا الكلام من امرأة مثلك ، ثم أخاف ان اسكتها بضربة تطبق فمها ! آه اعنى ياالهى أنا الجبان الخائر ، وللرجال كلهم أن يبصقوا فى وجهى (ثم بغضب وحنق) ولن أخرج من هنا الا بعد أن افرغ من قول ما أريد (يرفع قبضته مهددا) والا بعد أن أعلمك ما أوصلتنى اليه . (تتراخى قبضته فتنزل يده) لا تغضبى الآن ! فأنا أهذى هذيان مخبول محموم ، وانى لأرى هذا الحزن الذى بعثته فىّ ، قد تزايد حتى جعلنى أغرق فى بحر من الأحزان ! (ينحنى اليها فجأة فيقبض على ذراعها بشدة) اقول لك : قولى لى انها كذبة كذبتها علىّ ! وان هذا هو الذى بعثنى اليك ! لأستمع الى ما عساك تقولينه !

أنّا : (متثاقلة) كذبة ! . ماذا ... ؟

برك : (يستعطفها بانفعال ورجــاء) كل ما حدثتنى به من سوء عن نفسك ، قبل يومين ، انه كذب من غير شك . وقد أردت به أن تسخرى منى . أليس كذلك ؟ . قولى لى أنها كانت كذبة كذبتها يا أنا ، وسأصلى صلاة الشكر راكعا على ركبتى لله ذى الجلالة العظيم !

أنّا : (ترتجف مرتاعة ــ ثم بصوت خافت) لا أستطيع ذلك يامات (واذ يدير وجهه عنها ــ تتوسل) آه ! يامات ! ألا ترى أن لا عبرة بما كنت عليه قبلا ، ما دمت لم

أعد امت الى ذلك القديم بصلة . لم لا تستمع الى ؟ !
لقد حزمت أمتعتى عصر هـــذا اليوم ، وذهبت الى
الشاطىء . لقد انتظرت هنا وحدى يومين كاملين عساك
تعود ! أقول لنفسى عساك تدبر رأيك فى كل ما قلت ..
وربما ... آه ! اننى لا أدرى ما الذى كنت أدبره ! ولكننى
مع هذا كنت خائفة أن أترك غرفتى هذه لحظة واحدة ؛
أقسم اننى كنت خائفة أن تعود ثم لا تجدنى هنا . ثم
يئست وانقطع أملى حين رأيتك ولا أثر لك ، فذهبت
الى محطة القطار . لقد كنت على أن أذهب الى نيويورك
وأن أعود ...

برك : (بفظاظة) لعنة الله عليك !

أنّا : اصغ الى يامات . انك لم تأت ، وقد يئست ، وانقطع
أملى ! ولكن ، فى المحطة ، رأيتنى غير قادرة على الذهاب .
لقد اشتريت بطاقة السفر ، وحزمت أمرى على ذلك
(تخرج بطاقة السفر من ملابسها وتضعها أمام عينيه)
لقد أدرت خواطرى فيك ، فانثنيت عن ركوب القطار ـــ
انثنيت ولم أستطع ! ولذا عدت أدراجى الى هنا لأنتظر
وأنتظر . آه يامات ! ألا ترى اننى تبدلت . ألا ترى أن
تغفر لى ما مضى ودفن ... وتجعله نسيا منسيا ! .

برك : (يلتفت اليها ـــ والغضب يغلبه) تقولين : انس ! .
أقول لك : اننى لن أنسى ذلك حتى أموت ، وستظل
خواطرى فيه مبعث العذاب (كأن به مسا من الجنون)
كنت أود أن أرى واحـــدا من أولئك الذين ... بجانبى
واظل أضربه بيدى هذه حتى أراه جثة ملطخة بالدماء
أمامى ! وانى لأود أن أراهم كلهم يسلكون فى الجحيم
ويوضعون فى النار ... الى يوم القيامة ... وأود أن أراك
معهم أيضا ، لأنك مثلهم رداءة وسوءا .

أنَّا : (مرتعشة) مات ! (ثم بعد لحظة صمت ــ ثم فى صوت هادىء هدوء الأموات) حسن ، لقد قلت كلمتك . وأولى بك الآن أن تذهب .

برك : (يتجه متثاقلا الى الباب ــ يتردد ــ وبعد لحظة صمت) ثم ماذا تعملين بعد ذلك ؟ .

أنَّا : وما يعنيك من أمرى .

برك : انا أسألك !

أنَّا : (فى اللهجة نفسها) لقد حزمت أمتعتى ، واشتريت بطاقة السفر ، وسأسافر الى نيويورك غدا .

برك : (بلهجة اليائس) أتعنين انك ستعودين الى ما كنت عليه قبلا ؟ .

أنَّا : (بثبات) نعــم .

برك : (متضايقا متألما) لا لن ... لا تعودى لعذابى بمثل ذلك الحــديث ! انك شــيطانة بعثت لتدفعينى الى الخبــل والجنــون .

أنَّا : (يتخافت صوتها) آه ، بالله عليك يامات اتركنى وحدى، واخرج ، ألا ترى ما أنا فيــه ، وفيم تحب أن تظــل تركلنى برجلك ؟ .

برك : (بحنق) انك لتستحقين أسوأ مما قلت ... سامحك الله!

أنَّا : نعم ، ربما استحق . لقد أسرفت فى تكرار هذا على مسمعى ، وهلا يكفيك اهانة وتعريضا بى ! ولم لم تفعل ما قلت انك تنوى أن تفعله . ولم لم تسافر بتلك السفينة التى قلت انها ستنقلك الى الطرف الآخر من هذا العالم، الى حيث لا ترانى أبدا .

برك : لقد فعلت !

أنّا : (مرتاعة) ماذا ـ اذن ـ بالله عليك ـ ستسافر !؟

برك : لقد وقعت ظهر هذا اليوم ، وأنا على ما أنا عليه من السكر ، عقدا ـ وستبحر السفينة غدا .

أنّا : والى اين ستبحر هذه السفينة ؟ .

برك : الى مدينة الكاب .

أنّا : (تعود بذاكرتها الى هذا الاسم الذى سمعته قبل هنيهة ـ مرتبكة) مدينة الكاب ! وأين تقع هذه ! . بعيـدا ؟ .

برك : انها فى نهاية افريقية ـ وهى بعيدة بعيدة ! .

أنّا : (متكلفة الضحك) أنت على وعدك اذن ، أليس كذلك ؟! (تتوقف لحظة ـ ثم بلهجة المستفهم) وما اسم السفينة!

برك : « اللوندندرى ! »

أنّا : (يلمح فى خاطرها انها السفينة التى سيبحر بها ابوها) اللوندندرى ! انها السفينة نفسها ـ ! آه ياالهى ! هذا أشق من أن يحتمل (ثم بضحكة عصبية فظة) ها ! ها ! ها !

برك : ماذا دهاك !

أنّا : ها ! ها ! ها ! هـذا مضحك ! مضحك ! أكاد أموت ضحكا منه !

برك : (منفعلا) وعلام تضحكين ! .

أنّا : انه سر . ستعرفه بعد قليل . انه امر مضحك (تسيطر على مشاعرها ـ فتتوقف لحظة ـ ثم تمضى ساخرة)

وأى نوع من المدن مدينة الكاب هذه ؟ . يبدو لى أن فيها كثيرا من النساء .

برك : ملعونات كلهن ، وعسانى لا أرى امرأة أخرى حتى أموت.

أنَّا : هذا ما تقوله الآن ، على أنى أراهن انك ما تلبث أن تصل الى هناك حتى تنسى كل ما له شأن بى ، وتأخذ فى الحديث لأول امرأة تلقاها هناك ، على النحو الذى تحدثت به الى .

برك : (وقد آلمه ما سمع) لن أفعل هذا ، واذا أصلحك الله ! أأردتنى أن أكون بعيدا ، لتعودى الى شأنك الذى كنت فيه ، وتظلى متعلقة بهذا وبذاك سنى حياتك كلها .

أنَّا : (تستشيط غضبا) نعم ، وهذا كل ما قصدت اليه ! كنت على هذا ـ حياتك كلها ، تصطحب فتاة جديدة فى كل ميناء تصل اليه ، فهل كنت أحسن حالا منى فى هـذا ؟

برك : (فى سورة من الغضب) ألا ترين أن تخجلى أبدا مما فعلت . أنا مخبول حين أضيع الوقت بالحديث اليك على حين لا تزدادين الا تمسكا بحمأة الرذيلة . سأخرج الآن من هنا ، وأتركك وحدك الى الأبد (يتجه الى الباب ـ ثم يقف ملتفتا اليها بغضب) ويبدو لى أن أكاذيبك التى أخبرتنى بها كنت تقولينها لكل من يلتقى بك .

أنَّا : (بحنق وسخط) هذه كذبة ! وأنا لم أفعل هذا أبدا

برك : (متراجعا) كنت تقولين هذا ، على أى حال .

أنَّا : (بثبات وتزايد) أتريد أن تتهمنى ـ بأننى كنت أحبهم، أحبهم حقا ! .

بِرك : نعم أنا أظن هذا ، وما عندى شك فيه .

أنًا : (مهتاجة ، حتى كأن هــذا آخر اهانة يمكن أن تلصق بها ــ تتقدم اليه مهددة) أيها الأحمق ! أنت ! لقد طال اصطبارى عليك وكثر احتمالى منك ، فلا تزيدن فى جراتك على ! (ثم بمرارة واحتقار) أحبهم ! آه ! أيها الأحمق الضعيف العقل، أنا أحبهم ! (بشراسة وخشونة) أنا أكرهم ! أقــول لك : أنا أكرهم ! اكرههم ! اكرههم ! وضربنى الله ضربة الموت ، وضرب أمى أيضا ان كانت ما تزال حية ، ان كنت قلت لك غير الصدق والحق !

برك : (مسرورا بما أظهرته من حدة وسورة ــ تلوح مخايل الرضا فى وجهه ، ولكنه يظل فريسة بين الشك وبين الرغبة فى التصــديق ــ ثم بيأس) ليتنى استطعت تصديقك الآن !

أنًا : (بذهول وحيرة) أوه ، وما الفائدة . وماذا يفيدنى أن أتكلــم ! . بل وما فائدتى من كل ما فى الدنيا ! . (متوسلة) أوه ! مات ، لا تتوهمن هذا ، ولو فى لحظة واحــدة ! لا تتوهمن هذا ابدا ! قل ما شئت أن تقوله عنى من رذيلة وخسـة ، وأنا لا الحاك لأنك على حق فى أن تقول ما تريد . قل ما شئت الا هذا !! (توشك دموعها أن تنهمر) أنا لا أطيق احتمال هذا انه فوق ما أحتمل أن أعرف انك مســافر الى حيث لا أراك أبدا ــ أترى ما أنا فيه ! .

برك : (بعد صراع نفسى ــ ينطق بألفاظه بصعوبة وعسر) لو اننى صدقت ــ بأنك لم تحبى رجلا آخر فى الدنيــا غيرى اذن فربما استطعت أن أنسى ما عدا ذلك .

أنًا : (بصرخة من الفرح) مات !

برك : (بهدوء) واذا كان الصدق ما كنت تقولينه ، اذن فقد يكون لى الحق فى أن أتصور أنك قد تبدلت ، واننى ، أنا نفسى ، قد بدلتك وغيرتك ؛ حتى كأن كل كان ماكان لك فيما سبق من حياتك ، لم تعد لك به صلة أبدا .

أنّا : (متعلقة بألفاظه ـ تجذب انفاسها بعسر) أوه ! مات ! هذا كل ما كنت أريد أن أقوله لك طوال الوقت ! .

برك : (ببساطة) ان فىّ لقوة استطيع أن أقود بها الرجال ، أوجههم الوجهة التى أريدها ، وربما كان لى هذا فى النساء أيضا . ويبدو لى أنى قد صيرت منك امرأة أخرى ، حتى انى لا أستطيع أن أعرف ـ كما لا تستطيعين أن تعرفى أنت ـ أى امرأة كنت فى ماضيك .

أنّا : نعم ، أنت قادر على ذاك يامات . أنا أدرى أنك قادر عليه.

برك : يبدو لى أن ليس الذنب ذنبك ، ولكنه ذلك القرد العجوز أبوك ، هو الذى تركك تنشئين وحيدة ، فصرت الى ما صرت اليه . ولو أننى استطعت أن أصدق أننى أنا وحدى الذى ...

أنّا : (ذاهلة متحيرة) عليك أن تصدق ذلك يامات ! وماذا بوسعى أن أعمل ! سأعمل كل ما يعمل ، أعمل كل ما تريد لأبرهن أننى غير كاذبة فيه .

برك : (يبدو فجأة كأنه وجد حلا للقضية . يتلمس جيب سترته ، فيقبض على شىء فيه ـ ثم بهدوء) أتريدين أن تحلفى يمينا ، الآن ! يمينا رهيبة غليظة ، قد يبعث روحك الى الشياطين فى جهنم ان كنت كاذبة .

أنّا : (برغبة وشغف) نعم ، حقا سأحلف ، نعم احلف على ما تريد ، يامات !

برك : (يخرج صليبا رخيصا قديما ، عليه صورة المسيح مصلوبا ، من جيبه ويرفعه عاليا لتراه) أتحلفين بهذا ! .

أنّا : (تمد يدها اليه) نعم ، أحلف ، أعطنيه .

برك : (يبعده عنها) انه صليب أعطته لى امى يرحمها الله (يرسم علامة الصليب بصورة آلية) كنت فتى حينذاك وقد أوصتنى أن أبقيه معى ، والا أتخلى عنه فى يقظتى ولا فى منامى ، وقالت انه سيجلب لى الطالع الحسن . وماتت بعد ذلك بقليل . وبقيت محتفظا به منذ ذلك الحين ، واقول لك ان به قوة خارقة ، وانه أنقذنى من مهالك وورط عديدة ، وأنا أجوب البحار ، وكان حول عنقى معلقا ، حين غرقت سفينتنا الأخيرة ، فأوصلنى سالما الى البر ، على حين غرق أصحابى وماتوا فى البحر. (ثم بجد وحماسة متزايدة) وانى أحذرك الآن ، اذا أنت أقسمت به اليمين ! انها أمى العجوز هى التى تطل عليك من السماء فوقنا ، وهى التى تدعو الله ذا الجلالة ، والقديسين أن يلعنوك اللعنة الكبرى اذا سمعتك تكذبين حين تحلفين .

أنّا : (مروعة مما رأته من حالته وقد اعتقدت بالخرافة) لست أقوى على اليمين — وأرجو أن تثق — لو اننى كنت كاذبة ، ولكنه الصدق والحقيقة ! ولذا فأنا لا أخاف أن أحلف . أعطنى اياه !

برك : (يسلمه اليها — وكأنه خائف على سلامتها منه) أقول لك : كونى على حذر مما ستنطقين به فى يمينك !

أنّا : (تقبض على الصليب بحذر) حسن ، ما الذى تريد منى أن أقوله فى القسم . قله أنت .

برك : احلفى اننى أنا الرجل الوحيد الذى أحببته فى الدنيا .

أنّا : (وهي تنظر فى عينيه بثبات) انا أقسم على هذا !

برك : وأنك من اليوم ستنسين ما عملته من رذيلة ، ولن تعودى أبدا الى مثلها .

أنا : (بشدة وقوة) انا أقسم على هذا ؛ أقسم بالله ! ــ على هــــذا !

برك : وعسى أن يلعنك الله اللعنة الســـوداء ان كنت كاذبة ! قولى هذا الآن .

أنا : وعسى أن يلعننى الله اللعنة السوداء ان كنت كاذبة .

برك : (يتأوه آهة هائلة غريبة) آه ! تبارك الله لقد صدقتك الآن (يتناول الصليب من يدها ، وقد تهلل وجهه بشرا ، ويعيده الى جيبه ، ويلفها بذراعيه ، ويهم بتقبيلها ، ثم يكف فجأة ، اذ تلوح بارقة من الشك فى خاطره) .

أنّا : (فزعة) ما بك . ما دهاك !؟ .

برك : (بسؤال فظ قاس) أكاثوليكية أنت ؟.

أنّا : (مرتبكة) لا ، لم ؟

برك : (بحيرة من يرتكب أمرا محرما) اوه ؛ أعنى يا الهى ! (ينظر اليها نظرة الشاك المرتاب) هذه خديعة الشيطان! أن تقسمى اليمين بصليب الكاثوليك ، وأنت أحد أولئك الذين هم على غير مذهبهم .

أنّا : (متحيرة ذاهلة) آه ، مات ، ألا تصدقنى ؟!

برك : (مرتبكا) اذن لم تكونى على مذهب الكاثوليك ...

أنّا : اننى غير ذات مذهب ، ثم ما الفرق ... أما ســـمعتنى وأنا أحلف !

برك : (بعاطفة) آه ! اننى على حق فى أن اظل بعيدا عنك ــ

ولكن من لى بهذا ، وأنا أحبك رغم كل ما كان ، وأحب أن أظل معك ولا أفارقك ! اغفر لى يا الهى مهما كنت ومهما أنت . اننى سأجن وربما أقتل العالم ، اذا لم تكونى لى ! (يحتضنها بذراعيه ويقبلها بنهم) .

أنتّا : (بلهشة من الفرح) مات .

برك : (يبعدها عنه فجأة ، ويحدق فى عينيها ، حتى كأنه يسبر غور نفسها ــ ثم بهدوء)وهبك كنت غير صادقة فى يمينك ، هبك كنت كذلك ، فلا مفر لى من أن آخذ بما قلته وأصدقك . يبدو لى أن نفسي معلقة بك الى هذا الحد !

أنتّا : (وقد آلمها ما سمعت ــ بلهجة الموبخ) مات ، لقد أقسمت لك اننى لم أحب من قبل .

برك : (وكأنه يتحدى القدر) سيان عندى أن تقسمى وألا تقسمى وسنتزوج ــ بعون الله ــ صبيحة الغد (يمضى فى تحديه) وسنكون ، كلانا ، سعيدين رغم الشيطان ! (يجذبها اليه فيقبلها ثانية ، يفتح الباب على مصراعيه ، ويظهر كريس فى مدخله ، يقف ويغض الطرف عنهما ، يلتمع فى عينيه ما يكنه من كره قديم لبرك ، ثم يزول الكره ويحل محله شعور من الراحة والرضى ، ويلتمع البشر والسعادة فى وجهه ، يدير ظهره عائدا الى غرفة النوم ــ ثم يعود فى الحال ، وقنينة البيرة بيده ــ بابتسامة) .

كريس : نشرب ــ والله نخب هذا (ينفصل كل منهما عن الآخر ، وقد بدا الاستغراب فى وجهيهما) .

برك : (منفجرا) يالله ! (يخطو الى كريس مهددا) .

أنتا : (بفرح — الى أبيها) هكذا يجب أن يكون الحديث (ضاحكة) واقول انه آن أن يقبل كل منكما صاحبه ، وأن تسويا ما كان ، وستكونان رفيقين فى الملاحة فى الباخرة « لوندندرى » هل عرفت هذا ؟ .

برك : (دهشا) رفيقان فى ملاحة السفن — وهل هو نفسه !؟

كريس : (دهشا أيضا) لقد كنت رئيس الملاحين بها .

برك : يا للشيطان ! (ثم غاضبا) ستعود الى عملك فى البحر وستتركها وحيدة أيضا ، أليس كذلك .

أنتا : (مسرعة) لا بأس بهذا يامات . انه ابن البحر . واليه أود أن يذهب ، وهذا ما يجب أن تفعله أنت أيضا ، لأننا بحاجة الى المال (تتناول كأسيهما ضاحكة) أما بقائى وحيدة ، فهذا أمرا اعتادت عائلتنا عليه ، وسأعتاده أنا أيضا (تملأ كأسيهما) سأهيىء بيتا صغيرا ، وسيكون فيه مأواكما الذى تأويان اليه حين تعودان من البحر — انتظرا وستريان ! . والآن ! ارفعا كأسيكما واشربا وكونا صديقين !

برك : (بسعادة وفرح — ولكنه ما زال حانقا بعض الحنق على الشيخ والدها) نعم نفعل (يصدم برفق كأس كريس بكأسه) صحتك ! (يشرب) .

كريس : (مغاوبا على أمره ، تكسو وجهه سحابة من الغم) صحتك ! (يشرب) .

برك : (مشيرا بعينيه الى أنتا) سوف لا تظلين طويلا وحدك ، وسأجهد — بعون الله — جهدى فى هذا ، وأقول لك ، سيكون له حفيد يركب على ركبته فى القريب .

أنتا : (تدير وجهها عنه مرتبكة) كف عن المزاح الآن ! (تأخذ

حقيبتها وتمضى بها الى الغرفة على اليسار . وحين تذهب تعود الى برك خواطره الحزينة القاتمة ، كريس يحملق فى كاسه وهو سارح الذهن ، ويظل كذلك حتى يلتفت اليه برك) .

برك : هل أنتما على دين ، ــ أيا كان ــ أنت وابنتك أنّا ؟! .

كريس : (مستغربا) لم لا ؟ نعم . كنا من أتبــاع لوثر فى بلدنا من قبل .

برك : (مرتاعا) من أتباع لوثر أنتما (يتمتم الى نفسه أول الأمر ، ثم يرفع صوته عاليـــا) ويل لى اذا ! يالله ثم ما الفرق . انها مشيئة الله ، على أى حال !

كريس : (مهموما بما يدور فى خاطره من آراء ــ يتحدث حديث من يتوقع ما لا يسر ــ أنّا تعود داخلة من اليسار) أمر مضحك ، أمر غريب ، نعم ، أن يبحر كلانا ، أنا وأنت ، فى سفينة واحدة على هذا النحو . ليس هذا من الحق فى شيء ! أنا لا أدرى ــ لم يلعب البحر ، على هذا النحو الغريب ، وهو الشيطان الرجيم ، علينا بحيله القذرة . نعم ، على هذا النحو (يقف على قدميــه متراجعا الى الوراء ، ثم يفتح الباب وينظر فى الظلام) .

برك : (يومىء برأسه ايماءة المسلم ، بما قيل ــ ثم بحسرة عميقة) أخشى أن يكون الحق معك فيما اذا ادعيته هذه المرة ــ أخذك الشيطان !

أنّا : (تتكلف الضحك) يا ! ألم توافقه على ما قال يامات ؟ (تتقدم اليه واضعة يدها على كتفه ــ ثم بلهجة الفرح) اقول : ما بك . أطرد الهم عنك ، فقد قر قرارنا ، وسويت امورنا جميعا ، أليس كذلك ؟ . (تدير الشراب فى كأسه تملؤها وتملأ كأسا أخر لها ــ تضربه على ظهــره) هيا

بنا ! الى البحـر وليكن ما يكون . كن لاعبا ، لا ترعـه الخسارة ، واشرب نخب هذا . هيا بنا ، هيا ! (تصب كأسها فى فمها تشربه شربة واحدة ، وبرك يطرد ما لاح بخاطره من خواطر سوداوية ، بأن يهز رأسه ثم يتمتم ، ويشرب نخبها) .

كريس : (يتطلع الى الخارج فى الليل فتستحوذ عليـه أفكاره السوداوية الحزينة ـ يهز رأسه وهو يتمتم) ضباب فى ضباب ! فى ضباب طوال هذا الوقت اللعين ، حتى انك لا تستطيع أن ترى ما أنت صائر اليه . لا ... ان البحر ، ذلك الشيطان الرجيم ! وحـده يعرف ذلك (يحدق كلاهما فيه ، وينطلق من الميناء صوت صفارة الباخرة ، وكأنه نواح حزين مكتوم) .

ستــار

مطبعة مصر ٥٠٢٨/٥٨/٣٠٠٠

هذا الكتاب

ليست مسرحية « أنا كريستى » هى أولى المسرحيات التى نقدمها للقارىء العربى من تأليف يوجين أونيل . فقد نشرت له مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين مسرحية « وراء الأفق » فى طبعتين متتاليتين ، كما تنشر له بالاضافة الى هذه المسرحية مسرحيات « الامبراطور جونس » ترجمة الأستاذ أنيس منصور ، و « التيه » ترجمة الأستاذ كمال الملاخ كما سبق أن نشر له فى بغداد مسرحية . « الاله الكبير براون » ترجمة الدكتور جميل سعيد وهو نفسه مترجم هذه المسرحية التى نقدم لها اليوم . . .

. . . ان أدب أونيل من طراز فنى متفرد فليس أصعب على الناقد من أن يحاول أن يدرجه فى مدرسة من تلك المدارس المسرحية التى جرى النقـــاد على تقسيم الأدب المسرحى اليها ووضع معالم مميزة لكل منها فخصائص هذه المدارس مختلطة متداخلة فى أدبه ، ففى كتاباته رمزية ، وفيها واقعيـــة ، وفيها فلسفة ، وفيها رومانسية . ولكن مسرحياته مع ذلك لا تنتمى — بالمعايير الفنية الدقيقة — الى أية مدرسة بذاتها من هذه المدارس ذلك لأن الصحيح أن أونيل مدرسة جديدة فيها
من خصائص وفيها أيضـــا غموض فى بعض
مشبوبة على الحياة كما عرفها خلال حياته الخاصة ممثلا فى مجتمعه الأمريكى . . .

من
حسن جلا

كتاب لابد أن يقرأ

مطبعة مصر

Bibliotheca Alexandrina
04265533
A
5